صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٣ « القاهرة في » الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٩ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

حسن البنا

بمناسبة ذكراه

كان الإمام المرشد حسن البنا طيب الله ذكره وذكراه يسلك الطريق الذي تسلكه (الرسالة) منذ عشرين سنة فكان مما لابد منه أن يلتقيا على جادته أو عند غايته

وكان لقاؤهما الأول في مكتبي قبل أن يظهر أمر الرجل وتبلغ دعوة (الإخوان) ، فوجدت فيه ما لم أجد في قبيله أو أهل جيله من إيمان بالله راسخ رسوخ الحق لا يزعزعه غرور العلم ولا شرود الفكر ، وفقه في الدين صاف صفاء المزن لا يكدره ضلال العقل ولا فساد النقل ، وقوة في البيان مشرقة إشراق الوحي لا تحبسها عقدة اللسان ولا ظلمة الحس ؛ إلى حديث يتصل بالقلوب ، ومحاضرة تمتزج بالأرواح ، وجاذبية تدعوك إلى أن تحب ، وشخصية تحملك على أن تذعن . فقلت في نفسي بعد أن ودعني وشيعته :

عجيب ! هذا الشاب نشأ كما ينشأ كل طفل في ريف مصر ، وتعلم كما يتعلم كل طالب في دار العلوم ، وعمل كما

يعمل كل مدرس فى وزارة المعارف ؟ فممن ورث هذا الإيمان ، وممن اقتبس هذا البيان ، ومن أين اكتسب هذا الخلق ؟

إن الشذوذ عن قواعد البيئة الجاهلة ، والنشوز على أنظمة المجتمع الفاسد ، والسمو على أخلاق العصر الوضيع ، لن خصائص الرسول أو المصلح ؛ فإن الله الذى يعلم حيث يجعل رسالته يريد أن يُصنع النبى أو المصلح على عينه ، ليظهره فى وقته المعلوم فيجدد ما رث من حبله ، ويوضح ما اشتبه من سبيله

والفطرة التى فطر عليها حسن البنا ، والحقبة التى ظهر فيها حسن البنا ، تشهدان بأنه المصلح الذى اصطنعه الله ، لهذا الفساد الذى صنعه الناس

ولم يكن إصلاحه رضوان الله عليه من نوع ما جاء به ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومحمد عبده ؛ فإن هؤلاء قصروا إصلاحهم على ما أفسدته البدع والأباطيل من جوهر العقيدة ؛ أما هو فقد نهج فى إصلاحه منهج الرسول نفسه : دعا إلى إصلاح الدين والدنيا ، وتهذيب الفرد والمجتمع ، وتنظيم السياسه والحكم ؛ فكان أول مصلح دينى فهم الإسلام على حقيقته ، وأمضى لإصلاح على وجهه

لم يفهم الإسلام الذى طهر الأرض وحرر الخلق وقرر الحق على أنه عبادات تؤدى ، وأذكار تقام ، وأوراد تتلى ؛ وإنما فهمه كما فهمه محمد وعمر وخالد : نورا للبصر والبصيرة ، ودستورا للقضاء والإدارة ، وجهادا للنفس والعدو

وإذا كانت سنة الله أن يبعث الرسول أو يظهر المصلح مزودا بالطب الناجع لوباء معين فشا ، وفساد مبين عم ، فإن الحال الأليمة التى تكابدها الأمة الإسلامية اليوم من ضعف أطمع فى وطنها الاستعمار ، وجهل أطفأ فى قلبها العقيدة ، وزيغ مال بوجهها عن السبيل ، تقتضى أن تكون رسالة المصلح فى هذا الزمن جارية على النهج الذى نهجه المرشد الأول للاخوان المسلمين !

ولقد كان هذا النهج الذى قبسه البنا من القرآن وعززه بالعلم ، وأقامه على الإيمان وقرنه بالعمل ، ونشره بالبيان وأيده بالمعاملة ، كان من الجد والصدق والعزيمة بحيث زلزل أقدام المستعمر ، وأقض مضاجع الطاغية ، وخيب آمال المستغل ؛ فتناصرت قوى الشر على الدعوة العظمى وهى تتجدد فى مصر ، كما تناصرت عليها قوى الشرك وهى تولد فى الحجاز

وقضى الله أن يبتلى الإخوان فاغتيل الإمام وحوربت الدعوة واضطهدت الشيعة . ولكن الله عصمهم فلم ينقلب طريد على عقبه ، ولم يُفتن شهيد عن دينه !

ذلك لأن حسن البنا فكرة لاصورة ، ومبدأ لاشخص . والفكرة الصالحة تنمو نماء النبت ، والمبدأ الحق يبقى بقاء الحق . وما كان محمد صلوات الله عليه إلا باذر بذرة تعهدها من بعده صحابته ، فخرج نباتها بإذن الله وزكا ، ثم نما وسما ، ثم أزهر وأثمر . وسيبقى ثمرها أبد الأبيد ، على الرغم من سموم الريح وجدب التربة وعبث الآفة ، شهى الجنا دانى القطوف لمن سبقت لهم من ربهم الحسنى !

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بغرسهم الذى فاحت أزاهيره ، مستبشرين بفوزهم الذى لاحت تباشيره ، مغتبطين أن يروا من وراء الحجب الشفيفة دعوتهم تنتشر ، وأمتهم تنتصر ، وخطتهم تؤدى !

وإن القتيل الذى تتعطر المحافل بذكراه اليوم ، ليبتسم ابتسامة الرضا وهو فى مقامه الأعلى مع الشهداء والصديقين ، إذ يرى دمه المطلول يحى عقيدة ، وجهده المبذول يوقظ أمة !

احمد حسن الزيات

رجال من دمشق :

١ - الشيخ كمال الخطيب

للأستاذ على الطنطاوى

رجل كان فذاً بين الرجال ، لا ترى مثله العصور الطوال ، وإذا كان الرجل العادى المهذب كالنسخة المطبوعة من الكتاب ، كان الشيخ كمال نسخة مخطوطة مفردة ، وقد يكون فى المخطوطة خرم أو نقص — أو يكون على صفحاتها أثر من دهن أو بلل ، ولكنها مع ذلك أثمن من المطبوعة ، وإن كان ورقها نظيفاً ، وطبعها متقناً ، لأن هذه واحدة فى الدنيا ، ولأن من تلك آلاف الآلاف

كان الشيخ كمال بقية عصر مضى — ولكنه أبى أن يمضى معه ، فعاش فى القرن الحاضر ، كما كان فى القرن الماضى ، فكان تحفة فى (متحف) ، ولكنها تمشى ، وصفحة من (تاريخ) ، ولكنها تتكلم . وكان بطلا فى جسم عجوز ، وغنياً فى ثياب سائل . وكان فكرة استحالت رجلا ، ومثلا أعلى سوى إنساناً . ولكل منا مثل أعلى ، يتمثله إذا انفرد بنفسه ، — أما مثل الشيخ الأعلى فهو أعماله التى يعملها . ولكل منا أفكار يفكر فيها إذا خلا بعقله ، أما أفكار الشيخ فهى كلماته التى يقولها . وكل منا يعرف حقائق الناس ومثالبهم وعيوبهم ، ولكنه يكتمها عنهم ؛ أما الشيخ فكان يقول لكل إنسان مايعرفه عنه — لايستثنى من ذلك أحداً من الناس أبداً . وليس الذى بالشيخ ما يسمونه الصراحة أو الوقاحة بل هو شئ لا أعرف له اسما لأنى لم أجده عند شخص آخر : يقول لكل رأيه فيه بأوضح عبارة وأقصرها وأشدها ، ثم يمشى لا يريد بها جلب منفعة ولا درء مضرة . ثم يحبه مع ذلك الناس كلهم ، ويحترمونه ، ويخافونه : رجال الشعب ورجال الحكومة ، والعلماء والجهلاء ، والأغنياء والفقراء ، لا يسلم من لسانه أحد ، ولكن لا يكرهه أحد . ولم يكن يبالى حبهم ولا كرههم ، ولا يحفل باكبارهم ولا احتقارهم ، لأنه يعيش من نفسه فى عالم ، غاية مطلبه من الدنيا قماش يستر عورته ، ولم أقل جبة ولا رداء ، لأنى لم أكن أدرى ما كان يلبس على التحقيق : أجبة غيرها طول البلى حتى صارت من قصرها وثنيها كالرداء ، أم رداء أبلته الأيام فصار كالجبة ؛ وشئ يملأ جوفه ، سواء عنده أكان هذا الشئ خبزاً يابساً أم كان أرزاً ولحماً ؛ ومكان يضع عليه جنبه : سريراً أو فراشاً أو قطعة ممهدة من الأرض الفضاء ، فإذ وجد ذلك لم يطلب شيئا بعده — لا يرجو جاهاً ولا مالا ، ولا يخاف سجناً ولا رهقاً

أخوه الأصغر زكى بك زعيم كبير من زعماء الشام ، ولى الوزارة مرارا . ورياستها (بالوكالة) مرة ، وهو محام معروف ، وأخوه الآخر كان طبيبا كبيرا ، وأهله ذوو ميسرة وغنى ، ولكنه لايرزأ أحدا شيئا ، ولايجرؤ واحدمنهم — على دعوته إلى طعام أو منام

ولقد حدثنى الأستاذ زكى بك أنه ما افتقر هذا الفقر إلا لأنه كان كبير إخوته ، مات أبوه وخلف له هذين الصغيرين ، فباع ماله كله وأنفق عليهما ، حتى استكملا الدرس فى استامبول ، وكانت باريس تلك الأيام ، ثم أبى أن يأخذ منهما قرشا واحدا . وإذا عرضا عليه هدية ، أو دعواه دعوة ، غضب أشد الغضب ، فتركا ما يريدان لما يريد ، فعاش أغنى الناس — لا لأنه كان أكثرهم مالا ، بل لأنه كان أقلهم حاجة — ولا فرق بين أن تكون لك كنوز قارون — وأموال فاروق ، فتنال بها كل ما تطلب ، أو أن تكون مطالبك هينة يسيرة ، فلا تحتاج إلى مال كثير لتنالها ، ومن هنا قال من قال ، إن السعادة هى القناعة'

قنع من الحياة بأيسير ما تحفظ به على صاحبها الحياة ،

رغيف يسد جوعته ، وقماش يستر عورته . وكان إذا طلب الناس المصايف .. واتخذوا لها الدور ، وأعدوا لها العدة ، حمل عباءته وعيته ، ومشى ... مشيا إلى (سيمة) درة الوادى ، وجوهرة العقد فى جيد بردى ، فوضع العباءة والـ فرة فى المارة ، فوق (العين الخضراء) ثم نزل فدار بالمهوات — وجالس الجماعات ، فوعظ ونصح ، وأمر ونهى ، لا يرزأ أحدا طعاما ولا شرابا ولا مالا ، ولا يدخل جوفه من عند أحد شيئا ، ثم عاد إلى المغارة فأكل فيها ما استطاع أن يمده لنفسه ، رغيفا ولحما ، أو خبزا وزيتونا ، أو شايا وكسرات يابسة من خبز الأمس ، وحمد الله ونام . لا يخشى السرق على مال ، ولا الخسارة فى تجارة ، ولا تخوف الشر من عدو ، ولا خيبة الأمل فى صديق

وهذا هو عمله فى دمشق : ينزل من قبل أذان الفجر إلى جامع بنى أمية ، فيصلى ويقرأ أجزاء من القرآن ثم يبقى فى الجامع — يمر على الحلقات ، فان وجد ما يعجبه شجع المدرس بكلمة ، وإن أنكر شيئا رد عليه ، وإن أحس غموضا وضح ، أو إيجازاً شرح — أو مللا من السامعين نفس عنهم بنكتة . ويعرف ذلك المدرسون له ، فلا يأبونه منه ، وإن أبى بعضهم سلقه بلسان حديد ، لحط من كبريائه ، والان من إبائه — حتى كان شيخنا الشيخ صالح التونسى . (مدرس الحرم النبوى الآن) يسميه (مفتش الجامع) !

ويحضر المحاضرات العامة فيسلك فى الجامعة والمجمع ، مسلكه فى الجامع . حضرته مرة فى المجمع العلمى العربى . من نحو ثلاثين سنة ، وقد جاء محاضر لبنانى فتكلم فى الحضارة الجديدة ، وأنه ينبغى فى رأيه أن نأخذ كل مافيها ، وذم لباسنا ومدح لباس القوم . ولما انتهى وأقبل الناس (أعنى المترفين المنافقين) يهنئونه ، صاح الشيخ فى آخر القاعة ، بصوته الذى كان يغلب عشرة مكبرات للصوت ، ولهجته المرققة فى العامية : « ولك ! الحمار حمار ولو لبس بدلة وبنطرون . والإنسان إنسان ولو حط جلال[1] ... »

فانصرف الناس بكلمة الشيخ ، وتركوا المحاضرة فى مكانها

ويدور فى الأسواق — يراقب الناس ويدرس أحوالهم وهو يعرف أكثر أهل دمشق ، وآباءهم وأجدادهم — وتمر به المرأة المحجبة فيعرفها من أى أسرة هى . أمضى سبعين سنة وهو فى هذه المراقبة ، فان رأى حقيرا رفعته الأيام بلا سبب فتكبر — رماه بكلمة كالقنبلة فعرفه قدره وجرأ الناس عليه . وإن رأى دجالا انخدع به الناس فحسبوه عالما ، خط منه فصرفهم عنه . وإن أبصر جاسوسا أو عميلا للفرنسيين — صرخ : « الله يلعن الجواسيس والمنافقين » . وإن نظر إلى أم ولدها وسخ — قال لها : « ولك ! هاى الماء ، روحى غسلى وجهه . النظافة من الإيمان » . وإن رأى بائعا يغش مشتريا ، أومشتريا يضايق البائع ، أو شابا يتحرش بالنساء ، أو امرأة تتصدى للشباب ، أو رأى معتديا على آخر فى جسده أو ماله ، أقام القيامة عليه ، فكأن البلد كلها مدرسة ، والناس تلاميذها ، وهو المعلم فيها !

وهو قاموس حى فيه تاريخ دمشق ، وأنباء أحداثها ، وأخبار رجالها ونسائها ؛ حوادث رآها ووعاها ، وناس عاشرهم وخبرهم . وله آراء فى السياسة صائبات ، وأنظار ثاقبات . وله كلام منطق تعوده أيام الاستبداد الأولى ، أيام السلطان عبد الحميد ، حين كان الجواسيس يخالطون الناس فى أسواقهم ومجامعهم ، ومدارسهم وطرقهم ، وحين كان للجدران آذان ، وكان يؤخذ الناس فى أوساط الليل من بيوتهم — بلا محاكمة ولا تحقيق ، إلى حيث لا يدرى أحد — وكان الناس يستمعون له ، ولا يجرؤون على معارضته

وكان يتوسط فى الخصومات ، ويعرض لحل المشكلات ، ويقضى بين الناس بلا محكمة ولا مرسوم جمهورى ، فيسمع من الخصمين ، ويوازن بين حجج الفريقين ، ثم يقضى . والويل من جحيم لسانه لمن لا ينفذ حكمه . فكم ألف

(١) بالجلاجل برذعة الحمار فى العامية الشامية وعربيتها : الجل

بين زوجين ، وأصلح بين شريكين . وكان يأخذ من الأغنياء ، سطوة واقتدارا ، أو حبا وإكبارا ، فيعطي الفقراء المستورين ، فيسعف الله وجوها لولاه أذهب ماءها حر السؤال

وكان قديما خطيب الجامع الأموي ، ولم أدرك أنا ذلك فضايق الحكومة بكشف عيوبها ، وضايق العلماء الرسميين بذكر سجايا العلماء العاملين ؛ فتألب عليه علماء السوء — فأغروا حكام السوء حتى عزلوه — فاتخذ من كل مكان منبرا يخطب عليه . ولبث على ذلك حتى توفاه الله ، من نحو سنة

* * *

هذا هو الشيخ كمل ، نسخة مخطوطة نادرة من مخطوطات الرجال . رجل فرغ من مطالب نفسه ، وعاش للناس ، فكان مثله الأعلى هو عمله ، وأفكاره هي قوله ، وكانت دمشق مدرسة وكان فيها الأستاذ

رحمة الله عليه

علي الطنطاوي

العصر المملوكي الثالث !

للأستاذ محمد سعيد العريان

إن الأمة هي تصنع تاريخها ، ولكن التاريخ يعود من بعد فيصنعها صنعة جديدة ...

نظرت في تاريخ مصر منذ أسلمته الأسرة الأيوبية إلى شجرة الدر ، ثم منذ أسلمته شجرة الدر إلى زوجها المملوك أيبك التركماني ، ثم منذ تسلسل في المماليك من قطز ، إلى بيبرس ، إلى قلاوون ... ثم من قايتباي ، إلى الغوري ، إلى طومانباي الشهيد ، ثم منذ استخلصه أمراء المماليك من أيدي «الباشوات» العثمانيين ، سادة القلعة ، ليتداولوه من علي بك الكبير ، إلى أبي الذهب ، إلى مراد وإبراهيم والألفي ، إلى محمد علي الألباني ، إلى إبراهيم وإسماعيل وفؤاد وفاروق ، إلى ٢٣ يوليو الماضي .. فإذا هو كله عصر واحد ، بدأ بشجرة الدر وانتهى بفاروق ..

عصر واحد له خصائص مشتركة تقوم على الغدر والأثرة ، والانفراد بالسلطة ، والتباهي بلا عمل ، والاستعلاء بلا سبب ، والسعي الدائب إلى غير هدف ؛ ثم النساء والأطياب ، والقصور ، والمتاع الحرام ...

وإزاء هذه الصفحات المسودة بتواريخ الملوك ، صفحات أخرى تصف شعبا يخفي طبيعة المقاومة وراء مظهر الاستسلام ، كل وسائله في المعارضة أن يصنع النكتة ويضحك لها حتى يكاد يندلق بطنه ، وأن يتحدث همسا عن الغد المأمول كما قرأه له شيوخه في « الجفر » ، أو في الرمل ، أو في صفحات النجوم ؛ ثم الانتظار إلى أن يبرز « الزعيم » الذي يقوده ، فما كاد يبرز ويتردد اسمه في الأسماع ، حتى يصير هتافا على كل شفة ، وصدى لكل صفقة يد ، وقصة في كل سامر ، وبخورا في كل معبد ، وأكاد أقول وثنا لكل عابد .... ثم ينتهي ذلك الزعيم أو تطويه الحوادث إلى أجل أو إلى غير أجل ، فينتهي اسمه على الشفاه أو ينطوي ، فلا تسمعه إلا في ثنايا نكتة يضحك لها قائلها وسامعها جميعا ... وتخفى طبيعة المقاومة وراء مظهر الاستسلام العابث ...

هذه هي الخصائص المشتركة لهذا العصر المملوكي الذي بدأ في مصر منذ سبعة قرون ، وانتهى منذ بضعة أشهر ، وما أراه سيعود بعد ..

ولكن المؤرخين المحترفين وأساتذة التاريخ في المدارس يوشكون أن ينكروا على هذا الرأي الذي أرى ؛ فقد كانوا زعمون ، وما زالوا يزعمون إلى اليوم في كتبهم وفي

محاضراتهم العامة والخاصة ، وفيما يلقنون تلاميـذهم من دروس التاريخ ، أن العصر المملوكي قد انتهى في مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر ، حين تولى محمد علي وخلفاؤه من بعده عرش مصر . وهو زعم يبعد قليلا أو كثيرا عن الحقيقة التي أومن بها وأرجو أن يؤمن بها المثقفون جميعا ؛ فإن عصر محمد علي وما بعده إلى ٢٣ يوليه الماضي ، لم يكن إلا امتـدادا لعصر المماليك الذي بدأته شجرة الدر بتولية زوجها أيبك التركماني الجاشنكير عرش البلاد ، ليتسلسل من بعده في المماليك طبقة بعد طبقة إلى محمد علي «وطبقته» !

وقد كان محمد علي نفسه يؤمن بهذه الحقيقة ، فهو لم يفد إلى مصر سيدا ليحكم ، ولكنه وفد إليها كما وفد من قبله ومن بعده « مماليك » لا يحصيهم العد ، فوثبوا بالغدر أو بالحيلة أو بكفالة القادر إلى السلطة ولبسوا التاج ...

ولا يقولن أحد إن محمد علي لم يكن « رقيقا » في يد النخاس قبل أن يلي العرش حتى نصفه بالملوكية ؛ فإن سلاطين المماليك من عهد أيبك إلى عهد طومانباي ، لم يكونوا كلهم أرقاء مشترين بالمال ، بل كان منهم «أحرار» لم يدخلوا تحت رق قط ، وفـدوا إلى مصر لأن لهم صلة ببعض أصحاب السلطة فيها ، فجاءوا مدعوين أو واصلين أو معينين لبعض السـلطة هؤلاء على أمرهم ، فطابت لهم الإقامة واستقر بهم المكان وتهيأت لهم أسباب الحكم حتى وصلوا إلى العرش ، وكانوا مع ذلك في عرف المؤرخين « مماليك » وإن لم تدم آذانهم يوما في يد النخاس

وإذن فإن كلمة « مملوك » لم يكن يتحقق معناها اللغوي كاملا في اصطلاح مؤرخي عصر المماليك ؛ لأنهم كانوا يعتبرون خصائص الحكم وخصائص الحاكمين العامة لا الصفة الفردية التي تتصل بالمعنى اللغوي لكلمة مملوك

وإذن فقـد كان محمد علي مملوكا ، أو مملوكيا ، وإن لم يعرف من ماضيه أنه كان رقيقا مشترى بالمال ؛ لأن الإصطلاح التاريخي لا يأبى عموم هذه الصفة حتى تشمله

ومع ذلك فمن ذا يعرف من ماضي محمد علي ما يثبت به أو ينفي أنه كان في يوم من الأيام رقيقا ينادي عليه الدلال في سوق العبيد ؟ إن كل ما نعرفه عن ماضيه أنه كان يعمل في « قوله » أجيرا لدى بعض تجارها ؛ ثم لا نعرف له على وجه اليقين منشأ ولا أبوة ولا أسرة ينتسب إليهـا ؛ فإن لم يكن مملوكا فكأن قد كان !

ولم يصطنع محمد علي وسيلة غير وسائل المماليك لبلوغ العرش ، ثم للثبات على ذلك العرش ، ثم لتوسيع رقعة ملكه ؛ ولعله في كل ذلك كان صورة مكررة لعلي بك الكبير ؛ فقد بدأ بالاحتيال ، ثم بالغدر ، ثم بالزحف على أملاك الدولة العثمانية ؛ فلولا مؤامرة أخيه مراد ، وخيانة ربيبه محمد أبي الذهب ، لبدأ « عصر محمد علي » قبل موعده بنصف قرن ، ولكن باسم آخر ، هو « عصر علي بك الكبير »

وقد يقال إن محمد علي ألباني من قولة ، والمماليك شركس من « جورجيا » ؛ فهو يخالفهم في العنصر والجنس . وهذا وهم باطل ؛ فلم يكن المماليك جميعا من الشركس إذ كان منهم القوقازي ، والصقلبي ، والبلغاري ، والرومي ، والمقدوني ، إلى أجناس شتى لا تبعد كثيرا عن الجنس الذي كان ينتسب إليه محمد علي ؛ وإنما كانت نسبتهم إلى الشركس للغلبة لا للاطراد ...

وقد يقال إن محمد علي كان رأس أسرة حاكمة يتسلسل فيها الملك بالوراثة ، وليس هذا دستور المماليك . وهـذا أيضا وهم باطل ، فإن محمد علي أولا لم يكن رأس أسرة ، لأن إبراهيم الذي ولي العرش من بعده لم يكن من ولده ، ولكنه كان ربيبه ، ابن زوجته ، تربى في حضانته فأضفى عليه صفات الولد ، ثم عاد الملك بعد إبراهيم إلى أولاد محمد علي ، ثم رجع ثانية إلى أولاد إبراهيم ، فتسلسل فيهم من

إسماعيل ، إلى توفيق ، إلى عباس الثانى ، إلى حسين ، إلى فؤاد ، إلى فاروق ؛ ولم تكن نسبة هؤلاء جميعا إلى محمد على إلا من حيث أنه كان فى مثل مقام الأب من أبيهم إبراهيم فلم يكن محمد على إذن رأس أسرة بالمعنى الحقيقى بحيث يمكن أن يقال إنه خرج فى وراثة العرش عن دستور المماليك ...

على أن وراثة العرش مع ذلك كانت من دستور المماليك فى ظروف شتى ؛ حتى ليصح أن نحصى من سلاطينهم أسرات تسلسل العرش فيها من والد إلى ولد إلى حفيد ؛ فهناك أسرة بيبرس ، وقلاوون ، وبرقوق ، فى السلاطين المتقدمين ، وأسرة قايتباى والغورى فى فى المتأخرين ...

وقد قلت فى بعض ما سبق ؛ إن محمد على نفسه كان يؤمن بالحقيقة التاريخية التى تجعل حكمه فى عرف المؤرخ المتجرد امتدادا للعصر المملوكى فى صورة جديدة ؛ ودليلى على ذلك هو حرص محمد على على إبادة « النظراء » فى مذبحة القلعة النادرة ؛ ثم حرصه وحرص المحترفين من مؤرخى عصره على إسناد كل نقيصة إلى المماليك ووسم عهدهم بالفوضى والتهتك والهتك والسفك ، ليوقع فى وهم هذا الشعب المغلوب على أمره أنه من طراز آخر وجنس آخر غير جنس المماليك وطرازهم ، مع استمراره برغم ذلك فى جلب مماليك جدد من جنس آخر ، ليتخذ منهم بطانة له وحاشية ويضع فى أيديهم مقاليد الأمور فى البلد الذى أدانه لحكمه ...

وكان من خصائص الحكم المملوكى أن يحتفظ « المماليك » بجنسهم نقيا فلا يتخذوا من بنات الشعب أزواجا ولا يزوجوه من بناتهم ، إلا أن تكرههم على الخروج عن هذه القاعدة مكرهات لا قبل لهم بدفعها . وكذلك كان محمد على وخلفاؤه من بعده ؛ فلم يحاول هو ، ولم يحاول أحد من خلفائه ، أن يخلط نسبه بالشعب بالزواج من مصرية أصيلة النسب إلا محاولات فى السنين الأخيرة للتقرب من الشعب بعد أن نضج وعيه ، ولكنها كانت محاولات خادعة للإيهام بالصورة الظاهرة دون أن تغير شيئا من حقيقة الأمر ؛ فإن فلانة وفلانة وفلانة من زوجاتهم لسن مصريات خالصات النسب ؛ آباؤهن وأمهاتهن جميعا من سلائل مماليك محمد على ؛ ومن أجل هذا دون غيره كان اختيارهن زوجات ، وإن زعم من زعم من محترفى المؤرخين غير ذلك !

فقد ثبت إذن أن عصر محمد على لم يكن شيئا جديدا كل الجدة فى التاريخ ، ولا هو مرحلة فاصلة بين عهدين ، ولكنه امتداد لعهد مضى فى صورة جديدة ...

هو جزء من عصر المماليك تميز بخصائص ليست من عصر المماليك ولكنها نشأت عنها وتولدت منها واتسمت بسماتها العامة ...

وقد انتهت هذه المرحلة من العصر المملوكى فى ٢٣ يولية الماضى ، وبدأ الشعب يملى على التاريخ صفحة جديدة ؛ فقد وجب إذن أن نضع الأسماء على مسمياتها ونسمى هذه المرحلة باسمها ؛ ولن يكون اسمها أبدا كما أراد بعض محترفى التاريخ « عصر محمد على » ؛ فإن محمد على لم يكن إلا واحدا من المماليك الذين بدءوا منذ عهد أيبك الجاشنكير ، ولم يكن خلفاؤه إلا امتدادا لاسمه ...

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم العصر المملوكى قبل محمد على قسمين : عصر سلاطين المماليك ، ويبدأ من شجرة الدر إلى طومانباى المستشهد بأيدى الغزاة العثمانيين ، ثم عصر المماليك الأمراء ، ويبدأ من خاير بن ملباى الذى أقامه العثمانيون واليا على مصر بعد أن فقدت استقلالها ، إلى أن خرج آخر « باشا » عثمانى من القلعة بكفاح الشعب فى أول القرن التاسع عشر ، وإذن فليكن اسم العصر الذى يلى ذلك إلى ٢٣ يولية الماضى ، هو العصر المملوكى الثالث ...

محمد سعيد العريان

مائدة المسيح ومجاعـــة الشيطـــان

للأستاذ منصور جاب الله

فى ساعة العسرة وحين اليأس ، وبين تخون الظروف وطغيان الأحداث ، يلتمع فى آفاقَ الدنيا شهاب ثاقب إذ تلف العالمين ذكرى ميلاد عيسى بن مريم ، يوم أهل المسيح على الأرض فأشرقت بنور ربها وحفتها الملائكة الأبرار

ومرت البشرى بمولد المسيح من أرض الميعاد إلى سائر الأمصار ، فشملت الفرحة الخلائق كلها . وانبثقت رسالة المسيح من أرض السلام تدعو للسلام

حتى إذا عصفت بسلامة الدنيا أمة من النوب والهزاهز والإحن ، بقيت أفئدة من الناس تهوى إلى بيت لحم ، منبت المسيح ومهاده ، فهناك القداسة ، وهناك الطهارة ، وهناك الوئام

وفى عشية عيد الميلاد يستضيف المسيح الطاهر على مائدته القدسية أولئك الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، فهاموا فى البرية جياعا طاوين « عارين من حلل كاسين من درن » كما قال المتنبى قبل ألف عام ، تتلقفهم البلدان وترامى بهم الفيافى وتتقاذفهم السبل ، يستضيف المسيح هؤلاء اللاجئين الأحرار ، ومعهم أرواح الشهداء الأطهار ، فأقرب ما يكون المرء إلى ذكر الكرم وقرى الضيفان حين يكون جائعا عاريا ، شريدا فى الفيافى والبرارى ، يمضه الفقر وتمزقه الأوصاب

* * *

أما بعد ، فذلك حديث المائدة المقدسة ، كما رواه

« إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين » فلم يطلبوها جحودا ولا كنودا ، وإنما أرادوها سكنا لقلوبهم واطمئنانا لعقائدهم

وإذ جأر المسيح عليه السلام بالدعاء « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك » نزلت سفرة حمراء بين غمامتين والناس قيام ينظرون حتى إذا استوت بين أيديهم بكى المسيح وهو يقول « اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة » ثم رفع عنها الغطاء فإذا سمكة مشوية ، لا حسك فيها ولا قشر عليها ولا فلوس ، تسيل دسما ودهنا ، وعند رأسها ملح ، وعند ذنبها خل ، ومن حولها صنوف من البقل والخضر جميعا ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون ، وعلى الثانى عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد

وإذا بصر الناس بهذه المعجزة القدسية فوق ما رأوا من المعجزات الكبار ، تعاظمهم الأمر وبهتوا وأخذ منهم البهر مأخذه . وقال واحد من حوارى السيد المسيح : ياروح الله . لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى . فقال : ياسمكة ، احيى بإذن الله ! فاضطربت ، ثم قال لها : عودى كما كنت فعادت مشوية

ثم طارت المائدة إلى السماء والناس ينظرون فى ظلها ، وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا ، تجتمع عليها الفقراء والأغنياء ، والصغار والكبار يأكلون . حتى إذا فاء الفئ ارتفعت ، ولم يأكل منها فقير إلا غنى مدة عمره ، ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا

* * *

المحدثون الثقـات ، أشبعت الناس من جوع ، وأسبغت الطمأنينة على نفوسهم ، وأسبلت السكينة على قلوبهم

لقد نزلت المائدة المقدسة على أهل فلسطين ، فأشاعت بينهم الأمن والسكينة ، بعد إذ طعموا منها وشبعوا . فما بال أولئك الذين أجاعوهم ونكلوا بهم وشردوهم فى آفاق الأرض ، ونشروا بينهم المجاعة والمسغبة ؟

إن حديث هؤلاء الجياع الطاوين ليحز فى كل قلب ، ويغمز على كل كبد ، ويستدر من الأعين الدمع الهتون

إنها مجاعة الشيطان التى استبدلها بمائدة المسيح ، وكذلك نشر على ضفة الأردن الجوع والعرى

* * *

نعم يساعد أولئك الذين يقولون إنهم ورثة المسيحية الأولى ، هؤلاء الغزاة الأفاقين الذين دنسوا مهد المسيح وداسوا الحرمات وانتهكوا الشعائر والأقداس ؟ الأنهم راحوا من بعد يحاكونهم بهذا المنكر الذى ارتكبوه على ضفتى القناة ! ثم لأنهم جاروهم فى ارتكاب الموبقات وقتل الرجال والنساء والولدان ؟

ألا إن المسيح الطاهر لبرأ فى أقداسه العليا من أولئك الذين يحملون اسمه ثم يعاضدون سلالة أعدائه على غزو الأرض التى فيها درج وإليها بعث . وإن هؤلاء العرب المذبين فى أرض بها مهد المسيح ، وإن هؤلاء المصريين المذبين فى أرض هاجر إليها المسيح ، إذا خاب أملهم فى العدل الإنسانى على الأرض لتتلع أعناقهم إلى السماء ، يرقبون عدل السماء ، كما نزلت المائدة من السماء

* * *

ألا فليقل أولئك الطغاة الذين كلما خبت جذوة الحرب أعادوها جذعة وزادوها ضراما ، ألا فليقولوا ما جريرة هؤلاء البكاة فى ليلة عيدهم والخطب جسام والنفس هالعة والمهد القريب ؟ لقد ذاقوا أفاويق مترعة من برد السلام حين حدثوهم عنه أياما ، ثم كووهم بحر حرب تذيب المهج والجلود . وإنهم حين تموج بالعبرات عيونهم ، وحين تصدأ من الهموم قلوبهم ، وحين تثخن بالجراح جسومهم ، إنما يستشرفون لانبلاج صبح جديد ليس فيه عول ولا نحيب

منصور جاب الله

حياة المازنى

المرأة فى حيـــــاة المازنى

ما أكثر ما عشقت فى تلك السنوات الأولى من شبابى
المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

عاش المازنى ما عاش — وقد شارف الشيخوخة — لا ينبض قلبه بغير الشباب . وكانت سنه التى لا تكف عن الارتفاع — كما يقول — تغريه من فرط ما يستشعر امتدادها أن يحسب حوادث حياته بأرباع القرون لا بحساب عدد من السنين ، ولكنه إذا ذكر شجون قلبه ومنازل هواه كان كأنما يطوى الأعوام الطوال فى لحظات ، ويختزل العمر كله فى مثل كرة الطرف ، وتحس أنه ينقل إليك على الصفحات أو فى الكلمات ، نبضات قلب فتى يتفتح على حبه الأول فى براءة وطهارة ونقاء ..

لو أطفنا بكل لذته وما فضضنا خواتم العذر

* * *

عرف المازنى الحب وهو بعد فتى ناشئ ، وكانت «هى» جارة له صغيرة فى مثل سنه ، كالنرجسة فيما يراها . وكان بدء ما بينهما أنه لقيها يوما عائدة إلى بيتها ، فلما صارا فى (الحارة) إذا هى زحلوقة لا تثبت فيها القدم من كثرة الماء المرشوش ، فأسندت يدها على الحائط وناولته يدها الأخرى . ويقول المازنى : « لما صارت كفها فى كفى شعرت بشئ من الزهو ممزوجا بالغبطة ، وخفت على يدها اللينة البضة أن تؤذيها قبضتى — التى خيل إلى أنها قوية — فجعلت أصابعى حول رسغها حيث العظام فيما بدا لى أقوى على الاحتمال . وكانت مضطرة أن تعتمد على بجسمها وتلك أول مرة دنت منى أو دنوت منها إلى هـذا الحد ، وكان شعرها محلولا ومرسلا من فوق كتفيها على صدرها فجعلت أدنى أنفى منه وأشمه ، ولم يكن معطرا ولكنى كنت أجد له ريحا طيبة ، فلحظت ذلك منى وسألتنى وقد جذبت يدها قليلا : ما هذا الذى تفعله ؟

قلت : إنى أشمك

قالت : تشمنى !

قلت : إن لشعرك رائحة طيبة ، فهل من بأس أن أشمه ؟

قالت : كلا ، لا تفعل

قلت : قد فعلت وانتهى الأمر

« ومر عام وكنا قد انتقلنا إلى بيت آخر ، فررت بدارها يوما بعد الغروب ، وكان الباب مواربا فرأيتها تسق أصص الزهر فى فناء البيت . فوقفت أتأملها لحظة وهى تقبل الورد والأزاهير بعد سقيها ورشها ، ثم دخلت فى رفق وهمست باسمها فلم تسمع ، فأعدت الهمس فانتبهت كالمذعورة وقالت : إبراهيم ؟ وكررت ذلك . فاقتربت منها وقلت : نعم ! هل أفزعتك ؟ ووقفت : شفتاها مفترقتان ووجهها تصبغه الحمرة من أثر المفاجأة . ولم أكن أعرف ماذا ساقنى إليها سوى أنى اشتقت أن أراها وأن أقف معها لحظة أحادثها ، وقالت : لقد كان يجب أن أفزع فما سمعتك تدخل ، ولكن من الغريب أنك خطرت ببالى وأنا أسقى هذه الأصص . فكدت أصيح لا أدرى لماذا ، وقلت : أصحيح هذا ؟ إنه يسرنى . قالت ضاحكة : لم أكن أفكر فيك تفكيرا يسرك ، لقد كنت ساخطة عليك . فضحكت مثلها وقلت : ماذا جنى هـذا الشقى يا ترى ؟ قالت : لست ساخطة لأنك فعلت شيئا ، لقد كنت عندكم أنا ووالدتى وأختى وقضينا النهار كلـه هنالك تقريبا ، وأنت لا أثر لك فى البيت ولا يدرى أحد أين ذهبت ،

وفى وسعك أن تتصور مثلى بين السيدات العجائز .
قلت : إنى أفضل أن ألقاك هنا ، ويسرنى أن أجدك وحدك .
قالت : وهل كنت واثقاً أنك ستلقانى هنا ؟ قلت : كلا
قالت : إذن لم جئت الآن ؟ قلت : لا أعلم . اشتقت أن أراك
لا أدرى لماذا ، فجئت . ومر بخديها طيف من الحمرة ما جاء
حتى ذهب ، ففتحت عليها عينى وأثارتها النظر فتراجعت
خطوة وهى تقول : ينبغى أن أدخل . فوقفت أرمقها وهى
تدور لتمضى عنى ، ثم كأنما انشق عنى سور فاندفعت إليها
ووقفت إلى جانبها وجعلت أدير لسانى فى حلق بلا كلام
وقلبى يخفق ، وتناولت يدها وذهبت بها إلى الباب حيث
ظللنا برهة صامتين ، ثم صاحت : يدى ! يدى ستحطمها .
فانتبهت وأطلقت كفها وأسفت . فقالت بصوت عذب .
دعنى أدخل بالله

وبعد شهور عدت من المدرسة يوما فإذا هى ووالدتها
فى بيتنا ، ففرحت ، وكانت يدى ترتجف وعينى إلى الأرض .
وذهبت إلى غرفتى فأدركتنى فى الصالة وقالت : خذ .
وناولتنى عوداً من ثمر الحناء ، فأخذته فى صمت وأدنيته
من أنفى ، ووقفت أشمه وأشمه وقد غاض معين الكلام
وانقطع عنى مدده . فلما رأت صمتى وارتباكى قالت :
سنذهب إلى الريف . فأنطقتنى هذه المباغتة وقلت :
ستذهبين ؟ وكم تظلين هناك ؟ قالت : عاماً ، أتستكثر ذلك ؟
قلت : بالطبع . وماذا تنوين أن تصنعى هناك هذا العام ؟
قالت : كيف يعنيك أن تعرف ؟ وضحكت ، فجاءت
ضحكتها صدى ونفت مخاوفى ، ونظرت إليها معجبا
وأحسست بالدم يتدفق فى عروقى ، وبأنفاسى تسرع . وحمل
إلى النسيم الوانى طيب شعرها ، فمددت يدى إلى كفها
وكانت شفتاها مفترقتين وعيناها فى عينى ، وصدرها يكاد
يلمسنى ، فألفيت نفسى أنحنى عليها وألمس شفتيها بفمى ،
فصار وجهها كالجمرة ، ولكنها لم تتحرك ولا تكلمت ،
ودار رأسى كالمخمور فتقهقرت خطوة ، وهى واقفة كالتمثال

وما أظنها كانت تتنفس أو تفكر ، فما رأيت صدرها
يتحرك أو أجفانها تختلج ، كلا ، لا شئ إلا هذا الجمر فى
خديها ينبئ أنها حية . وأفاقت ثم أصعدت زفرة كأنما
كنت لطمتها ولم أقبلها . ثم هتفت بى ، فأسرعت وأخذت
يديها فى كفى ثم رفعتهما وقبلتهما وقلت لها : أغاضبة
أنت ؟ قولى إنك لست غاضبة . فأجابتنى بهزة خفيفة من
رأسها . فقلت : لست غاضبة ، أعلم ذلك وإلا فما قبلتك ،
تكلمى . فقالت همساً : دعنى أذهب ، إنى خائفة . فقلت :
إنك جميلة ، جميلة . وانهلت على يديها مرة أخرى ألثمهما ظهراً وبطناً
ثم سحبت يديها ببطء ووضعتهما على صدرها ، وقالت وهى
تتلعثم وترتجف : قل لى ما هذا ؟ قلت ، ووضعت يدى على
يديها فوق صدرها : هذا ؟ ألا تعلمين أنه الحب ؟ فتنهدت
وأرخت يديها وتركتهما تهويان وقالت : سأذكرك دائما
قلت : كلا ! هذا لا يكفى . ولم تكد شفتاها تفترقان ،
وهمست كأنما تتنفس : سأحبك دائما »
وكان هذا بينهما آخر لقاء !

* * *

وبلغ المازنى مبالغ الشباب . وصار طالبا بالمدرسة
الخديوية ، وكان يؤم سمته كل صباح من البيت إلى المدرسة
عن طريق « درب الجماميز » . فلمح ذات يوم فتاة فى مثل
سنه يتبعها خادم نوبى يحمل لها حقيبتها وكتبها ، وكانت
تأزر ، أى تتخذ « حبرة » وتضع على وجهها برقعاً أبيض
ينسدل من أرنبة الأنف ويحجب ما تحته — الفم والذقن
والخدين والعنق . ووقعت الفتاة من نفسه وشغلته محاسنها
وعرف المازنى أنها تلميذة فى المدرسة السنية ، وأنها تقطن
نفس الحى فى الناحية الأخرى منه . فصار يترصد خروجها
وأوبتها ليشبع عينه من التملى بها ، ويهدهد ما علق قلبه
من الهيام والصبابة ؛ وما كان حظه من ذلك ليزيد على
النظر المجرد ، « ولم أكن أكلم حبيبتى هذه ، ولا كانت
تكلمنى ، ولكن على الأيام صارت العين تقع فى العين »

.. ولعل الفتاة قد أحست بغريزتها معنى نظراته هـذه ، وألهمتها طبيعة الأنوثة ما كان يشده إليها ويجذبه نحوها فقد كانت حلوة ممشوقة ، يزيدها فتنة وحسنا رداؤها الجميل الذى يوحى بالنعمة والرفاهية ، ويلقى عليها سواد الحبرة اللماع وبياض النقاب ظلا من السحر يغرى بارتياده . وكانت كلما التقيا تلقى إليه بنظرة ، ينقلب بعدها قرير العين مثلوج الخاطر . وظلا هكذا يتعارفان بالنظر دون الحديث مدى عامين . ثم شاء القدر أن يفترقا دون أن يعرف أحدهما اسم صاحبه أو شيئا عنه

ووسع قلبه الشاب أن يجدد علائقه وأن يجيب نداء الحب لأنه عنده نداء الحياة . بل كان إذا أثقل عليه الشعور بالحرمان أوحى إلى نفسه الحب ، وقد يفعل الإيحاء فعله ويحدث أثره ، ويتهيأ له أن يحس الشوق الطبيعى والرغبة الصادقة إلى من يجاوبه هذا الإحساس . فلم يخل قط من حب يستجد علائقه ويهيئ أسبابه ، أو كما قال « ما أكثر ما عشقت فى تلك السنوات الأولى من شبابى ! »

وفى وصف تلك الفترة يقول الأستاذ العقاد من قصيدة له إلى المازنى :

أنت فى مصر دائم التمهيد بين حب عفا وحب جديد
بين ماض لم يذبل الحسن منه وطريف كاليانع الأملود
أنت كالطير ربما شالت الطيـ ـر عن الأيك وهو جم الورود

* * *

ثم تزوج المازنى وهو فى سن العشرين ، وكان — كما يقول لا يعرف عن المرأة إلا أنها أنثى ولا عن الزواج إلا أنه وسيلة مشروعة لتعارف الجنسين . فلم تكد تبدأ حياته الزوجية حتى صارت — بعد شهور — إلى شر ما يمكن أن يصيب زوجين من النفرة وقلة الاحتمال وعدم الاستعداد للتفاهم والعجز عن إصلاح الفساد . وكاد الأمر ينتهى إلى الفرقة النهائية . وقضى فى جحيم هذا الخلاف ثلاث سنوات لم ينجه من عواقبه إلا التوفيق إلى درس طبيعة المرأة وغريزتها ، وعاش مع زوجته ضعف هذا الزمن « كأسعد ما يكون زوجان فى هذه الدنيا التى لا تخلو من المنغصات » ثم ماتت هذه الزوجة فحزن عليها حزنا بالغا دل على ما كان يكنه لها من حب . ونستطيع أن نضم حبه هذا لزوجته إلى جوار ذلك الحب الذى عرف ألوانا منه من قبل ، لأنه فى الحالين يصدر عن وتر واحد فى نفسه وإن اختلفت أصداؤه بين حين وحين . فليست زوجة وحسب من تكون عند زوجها عنوانا على الجنس كله وإشارة إلى عالم الأنوثة بأسره ، ومن تجمع له إحساسه المتعدد بالحياة فى إحساس فرد تكون هى محوره ومداره

يتبع محمد محمود حمدان

التضامن الاجتماعى
بين ابن خلدون ودوجى

للأستاذ جمال مرسى بدر

لا مبالغة فى القول بأن الاجتماع من أقدم الظواهر التى صاحبت العمران البشرى ، ولا غرو فإن الأمرين متلازمان بل أن التعبيرين من المترادفات . ولعل الأصح أن يقال إنه لا عمران بغير اجتماع ، وأن الحضارة نفسها إن هى إلا ثمرة اجتماع الإنسان إلى الإنسان

ومن أقوال الحكماء قديما : «الإنسان مدنى بالطبع» وهى حكمة بالغة تصل إلى أعماق النفوس البشرية وتكشف عن طبيعة الإنسان الاجتماعية وتثبت أنه لا بد له من الاجتماع إلى أفراد جنسه وأنه لا يستغنى عن ذلك الاجتماع ولا تستقيم حياته بدونه

هذا وإن بين نشوء الاجتماع البشرى وبين قيام الدول بالشكل الذى نعهده منذ أن سجل قيامها التاريخ مراحل طويلة يعنى ببحثها علماء السياسة وفقهاء القانون العام ويذهبون فى أمرها مذاهب شتى ويفسرون — بالتالى — قيام الدولة تفسيرات متفاوتة شأنهم فى كل موضوع ينفسح فيه مجال النظر ويطلق فيه العنان للرأى

ولئن كان فلاسفة الإغريق قد تكلموا فى السياسة فان مسألة قيام الدولة لم تظهر بشكل جلى إلا فى كتابات كتاب القرنين السابع عشر والثامن عشر الذين يمكن تبويب آرائهم فى اتجاهين متميزين يختلف بينهما تفسير قيام الدولة وتحديد وظيفتها ، ويتفق بين الآراء المندرجة تحت كل منهما الأساس النظرى وإن تفاوتت التفاصيل

فالاتجاه الأول — ويمثله هوبز ولوك — يذهب إلى أن الاجتماع البشرى قديم ، أى أن الإنسان ما وجد إلا فى جماعة ، وأن تلك الجماعة فى حالتها الطبيعية كان يسودها النزاع المستمر بين أفرادها حول الأغراض والمطامع الفردية التى لم يكن الإنسان يهتم بسواها ، غير أن استمرار حالة النزاع الدائم هذه أدى إلى تنبيه أفراد الجماعة ، فدفعهم حب البقاء إلى وجوب الاتحاد وأشعرهم بضرورة وجود السلطان فتفاهموا على الخروج من الحالة الطبيعية والخضوع لرئيس منهم وبذلك قامت الدولة

أما الاتجاه الثانى — ورافع لوائه جان جاك روسو — فيذهب إلى أن الاجتماع حادث ، أى أن الإنسان كان فى الأصل مبتوت الصلة بغيره من أفراد جنسه ، وأنه كان يحيا فى تلك الحالة الطبيعية الأولى سعيدا موفورا متمتعا بحريته الكاملة حتى إذا كثر عدد الناس وتشابكت مصالحهم وظهرت نوازع الشر فيهم رأى الإنسان أن ينضم إلى غيره وأن يتنازل للجماعة عن جانب من حريته الأصيلة مقابل تمتعه بحماية الجماعة ، وبذلك نشأت الدولة مستندة إلى إرادة المجموع أى إرادة الأمة التى فيها وحدها يتمثل السلطان

ومهما يكن من شأن النجاح الذى لاقاه مذهب روسو فى القرن الثامن عشر ومن تأثيره البالغ فى الثورة الفرنسية وما تبعها من أحداث ، فإن العلم الحديث لا يقر ذلك المذهب ويرى فى « الهمجى النبيل » الذى خلقه روسو خيالا لا دليل عليه بل لا حقيقة له . فالاجتماع البشرى قديم قدم البشرية ذاتها ؛ وقيام الدولة أمر من الصعب تتبعه واثبات كيفية حصوله ؛ وإنما الدولة نتيجة لتطور اجتماعى طويل ، وهى بهذا الوصف حدث اجتماعى أو واقعة اجتماعية لا محل للبحث عن أساس قانونى لها ، ولا داعى لتصور عقد اجتماعى تقوم عليه وتستند إليه

وللعلامة ليون دوجى — كبير فقهاء القانون العام المعاصرين — نظرية طريفة فى تكييف الدولة وتبرير قيامها

تتفق والواقع الملموس . وتعتبر الكلمة الأخيرة فى هـذا الباب . فعنده أن الإنسان عاش فى الماضى كما يعيش الآن ، وكما لا بد أن يعيش فى المستقبل مع غيره من أفراد نوعه فى حياة اجتماعية ؛ فالفرد كان دائما عضوا فى جماعة إنسانية ، غير أنه يشعر فى نفس الوقت بكيانه الشخصى المستقل عن الجماعة وبميوله الخاصة وحاجاته التى يريد أن يقضيها ، ولكنه يعلم أنه لا يستطيع تحقيق شىء من ذلك إلا إذا عاش فى حياة مشتركة مع غيره

إذن فالإنسان كان دائما عضوا فى جماعة كما كان دائما يشعر بفرديته ، إلا أنه كان ولا يزال يرتبط بالجماعة برباط وثيق مرجعه إلى ما أطلق عليه دوجى تعبير « التضامن الاجتماعى » solidarité sociale

وهذا التضامن كان موجودا فى جميع مراحل تطور المجتمعات البشرية ، فقد كان واضحا فى نطاق الأسرة ثم فيما بين أعضاء القبيلة ، ثم بين الواطنين فى المدينة الواحدة ، وأخيرا بين أفراد الشعب فى الدولة التى هى الشكل الحديث للجماعات الحاضرة

وعند صاحب هـذا المذهب أن أهم عوامل التضامن الاجتماعى عاملان : —

الأول أن للأفراد حاجات مشتركة لا يمكن تحقيقها إلا فى الحياة المشتركة ، وهذا ما يسمى بالتضامن بالتشابه solidairé par similitude . والعامل الثانى — تفاوت قدرة الأفراد واختلاف كفاياتهم مما يستتبع بالضرورة تبادل الخدمات بينهم . وهذا ما يسمى بالتضامن بتقسيم العمل solidairè par division de travail وهذان العاملان اللذان يتمثل فيهما التضامن الاجتماعى يؤديان إلى ترابط الجماعة وإلى استمرار وجودها . وما الدولة سوى الصورة الواقعية التى يتجلى فيها التضامن الاجتماعى ، ووظيفة الدولة إنما هى المحافظة على ذلك التضامن وتسهيل اتساعه وتطوره ومنع العوامل التى تصيبه بالضعف والوهن ، وذلك عن طريق سن « قواعـد للسلوك » وهى المعروفة باسم القوانين ، والقوانين لا تكون مشروعة إلا إذا هـدفت إلى حماية التضامن الاجتماعى وإلى كفالة عوامل نموه واطراده ، فذلك التضامن هو أساس قيام الدولة وهو تبرير مالها على الأفراد من سلطان

هذا عن التضامن الاجتماعى عند « دوجى » الفرنسى المعاصر فماذا عن ابن خلدون العربى القديم ؟

مهلا يا سيدى القارئ واترجع معى إلى « مقدمته » الخالدة لتجد فى الصفحة الخامسة والأربعين وما بعدها (١) عرضا بديعا لنظرية التضامن الاجتماعى التى طلع بهـا على العالم « دوجى » فى القرن العشرين للميلاد فاعتبرت فتحا فى علم السياسة وابتكاراً فى فقه القانون العام

يقول ابن خلدون : « ... الإنسان مدنى بالطبع أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدنية فى اصطلاحهم وهو معنى العمران . وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهـداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله . إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه . ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضـه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخورى . هب أنه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتـاج فى تحصيله حبا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه الأعمال من الزراعة والحصاد والدراس ... ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير . ويستحيل أن توفى بذلك كله أو بعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت

(١) طبعة مصر سنة ١٣٢٧ (المطبعة الشرفية)

له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف » !

وتراه بعد ذلك يستطرد فى شرحه فيقول : « وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا فى الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأن الله سبحانه لما ركب الطبائع فى الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الإنسان ... وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات التى تنوب عن الجوارح المعدة فى سائر الحيوانات للدفاع . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفى قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدة المدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد فى ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ... ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه ... ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر . وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة ، وتمت حكمة الله فى بقائه وحفظ نوعه » !

فى هذه العبارات الواضحة يعرض ابن خلدون كل ما فى نظرية التضامن الاجتماعى الحديثة وإن لم يرد على قلمه لفظ « التضامن » فقد استعاض عنه بكلمة « التعاون » وقديما قيل لا مشاحة فى الإصطلاح .

لقد أشار ابن خلدون إلى قدم الاجتماع البشرى وإلى أنه فى الإنسان طبيعى أزلى ، واستطرد من ذلك إلى تقرير وجود التضامن الاجتماعى وإلى شرح طبيعة ذلك التضامن بنوعيه اللذين تتكلم عنهما النظرية الحديثة وهما التضامن بالتشابه ، والتضامن بتقسيم العمل

ضرب ابن خلدون مثلا للتضامن بالتشابه بليغا فى إيضاح المعنى المقصود إذ ذكر الدفاع وما يتطلبه من تعاون أبناء الجنس البشرى ، فهنا نجدنا أمام حاجة مشتركة بين جميع أفراد المجتمع هى الحاجة إلى الدفاع عن النفس إبقاء عليها وحفظا لها ، وهى حاجة لا يتيسر تحقيقها على وجهها إلا فى الحياة المشتركة لما ذكره ابن خلدون من عجز الفرد الواحد من الناس أمام العدو المشترك فكان لا بد من اجتماع العدد الكبير من أفراد الجنس البشرى حتى يمكن سد هذه الحاجة المشتركة بينهم ، وهذا بعينه هو التضامن الاجتماعى بالتشابه الذى تكلم عنه « دوجى »

أما النوع الثانى من التضامن الاجتماعى وهو الناشئ عن تقسيم العمل فقد ضرب له ابن خلدون مثلا لا يقل وضوحا فى معناه ولا قوة فى دلالته عن المثل الأول ، فقد ذكر قوت يوم من الحنطة وما يقتضيه الحصول عليه من تعاون الزارع والطاحن والعاجن والخابز فضلا عن تعاون من ينتجون لهؤلاء آلات صناعاتهم ، فهنا نرى كفايات متفاوتة تستتبع تبادلا للخدمات وتعاونا بين أصحاب مختلف الحرف كل فى اختصاصه ، وهذا بعينه هو التضامن بتقسيم العمل الذى تبرزه النظرية الحديثة

وأما عن قيام الدولة فيقول ابن خلدون : « إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ؟ وليست آلة السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية فى دفع العدوان لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شئ آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك

وهكذا نرى أن ابن خلدون — وبينه وبين دوجى نحو ستمائة عام فى الزمان — قد سبق إلى النظرية التى

اعتبرت لافقيه الفرنسى نصرا وفتحا وعرضها عرضا واضحا بينا لا فرق بينه وبين الشكل الحديث للنظرية إلا فى العبارات والمصطلحات

وليس هذا إلا قطرة من بحر ابن خلدون الذى ينزح منه كل مطلع على آثاره الخالدة على الدهر ، وخاصة مقدمته التى تعتبر بحق كنزا حافلا بجواهر الآراء فى علوم السياسة والاجتماع . فلا مبالغة إذن فيما تصفها به دائرة المعارف الإسلامية [1] إذ تقول إنها « ستظل دائما أعظم مؤلفات ذلك العصر وأهمها من جهة العمق فى التفكير والوضوح فى عرض المعلومات والإصابة فى الحكم ، ويظهر أنه لم يفقها كتاب ما لأى مؤلف إسلامى . »

جمال مرسى بدر

(٢) مادة (ابن خلدون)

فصل الفتنة

بين الأزهر ودار العلوم!

للأستاذ الطاهر أحمد مكى

أنا متهم بإثارة الفتنة بين الأزهر ودار العلوم ! ...

اتهمنى بها أصدقاء ردوا على فى صحيفة « الأخبار الجديدة » ، وزميل اختار لرده « الرسالة » واتهمنى بها أناس كثيرون ، يربطنى بهم إخاء ثقافى ، أو صداقة علمية ، أو زمالة وطيدة ، ولم يحاول واحد منهم جميعا ، أن يتعرف الدوافع ، أو يتقصى ما وراء الأمر من أسباب

كانت كلمتى فى « الأخبار الجديدة » ذات شقين ، أولها دفع ما أثاره بعض الزملاء ، من أن هناك تعصبا يقع عليهم ، وحيفا يصيبهم ، وأحمد الله كثيرا ، على أن بينهم من نفى ذلك كله ، وقال كلمة الحق ، وهو أن مرجع التفضيل لدى مفتشى اللغة العربية ، جهد الإنسان وإخلاصه وتفانيه ، وسكت الباقون فلم يثبتوا شيئا ، وإن عز عليهم أن يعترفوا بالحق لذويه !

وقصة هذه الشكاوى تمثل فى واقعها مأساة ألمية ... مأساة الأخلاق حين تنحدر ، والوفاء حين ينضب ، وكلمة الحق حين تغيض من الشفاه ؛ ذلك أن اللغة العربية كانت تجد فى أشخاص القائمين عليها ، اضطهادا مزريا من وزارة المعارف ، وكان هؤلاء الرجال يدفعون هذا الاضطهاد بكل ما أوتوا من قوة ، اضطهاد يسنده استعمار غاشم ، يريد أن يحطم معنويات الشعب بتحطيم لغته ، ويمكن له دعاة مرتزقة ، يريدون للاستعمار أن يبقى ليعيشوا ، وتظاهره ارستقراطية كاذبة ، ترى فى العربية تأخرا يخدش زهوها ويؤذى شعور بنيها ، ومن ثم كان موظفو وزارة المعارف يتفاوتون تبعا لاختلاف ثقافتهم ، فعزل ذوو الثقافة العربية منهم ، عن كل ما يؤدى إلى إدارة أو سلطان ، أو يشعر بتقدير وعرفان ، وفيهم من يحملون من الشهادات التربوية أعلاها ، ومن الثقافة العربية أعمقها ، ومن اللغات الأجنبية أحياها ، على حين ارتقى غيرهم درجات وزارة المعارف صعدا ، فتفاوت النظراء وتباين الأنداد ، ولولا بقية من إيمان لأصاب اللغة ، تدريسا وطريقة وإنتاجا ، شر كبير . فليس أقتل لحيوية العامل من الإهمال ، وليس أقضى على نشاط الذكى من الجحود ، ولا أجهز على إخلاص المنتج من نكران الجميل !

كان هؤلاء الرجال يقاومون ذلك كله فى عناد وصلابة فيلغوا مما يؤملون شيئا ، وبقى دون حقوقهم كاملة طريق طويل ، مملوء بالأشواك والمتاعب ، ويتطلب الكثير من التكاتف والتساند والتضحيات ؛ فوزارة المعارف ذات الوكلاء الأربعة ، والمستشار الفنى والسكرتير العام ،

لم تخجل من نفسها يوما ، فتتخير من أصحاب الثقافة العربية ولو واحدا ، ليمثلهم فى مناصب الوزارة العليا ، رغم أن ثقافتهم غاية وغيرها وسيلة ، وأن عددهم يربو على نصف الموظفين ، وفيهم قدامى قاربوا الستين ، ونبغاء يحملون أرقى الشهادات ، إن لم تزد على ما يحمل وكلاؤها فلا تقل عنهم بحال !

* * *

حتى إذا رفعت مصر رأسها بعد ركوع طويل ، ظن أصحاب الحق المهضوم فى وزارة المعارف ، أن الظالم سترد إلى أهلها ، وإذ هم يلوحون بحقوقهم فى حياء الأبى ومظهر المتواضع ، حتى لا يثيروا ضجيجا ولا يحدثوا فرقة ، إذا بالخناجر تغمد فى ظهورهم بلا أسباب ولا مقدمات ، وممن ؟ ... من أشقائهم الأزهريين ، من شباب العربية الذين يمهدون لهم المستقبل ويعبدون لهم الطريق !

أجل ! ... آلاف الشكاوى ترسل إلى شتى الجهات تستبيح أعراضهم ، وتطعنهم فى أعمالهم ، وتنهش ذممهم ، وترميهم بكل نقيصة ومذمة ، ولا هدف لها إلا النيل من هؤلاء الأبرياء ، وكان سواد هذه الشكاوى كذبا وتضليلا وافتراء ، وهدفها « إذا لم تستطع هدم الحائط القوى ، فلا بأس من تلطيخه بالأوحال » ! ... وكانت حملة غير شريفة ولا طبيعية ، وكان التوافق فى الشكوى بين من يقيمون فى أسوان ومن يستوطنون الإسكندرية ومن ينزلون القاهرة ، يوحى بأن يدا أثيمة تريد أن تصطاد فى الماء العكر ، وأن تكيد لحماة اللغة العربية ، ليخلو لهم الطريق !

وأشهد أن لجيمة هؤلاء المفتشين كانت بالغة ، كانوا أشبه بأب فقد وحيده ، بعد أن تقدمت به السن وأدبر عنه الشباب . لقد زرعوا ليحصد غيرهم ، وغرسوا ليجنى سواهم ، وهم الساعة يتحسسون كلة شكر على ما حملوا من رسالة ، وأدوا من أمانة ، فلا يجدون . لقد كانوا من أنصار العدل المطلق دواما ، وكان ذلك يدفعهم إلى الدقة فى التقدير ، والقسوة على المهمل ، لأنهم أصحاب رسالة أولا ، ولأنهم يطالبون بحقوق لهم ولأندادهم مغصوبة ثانيا ، وليس أقوى لك ، ولا أسند لظهرك ، حين تطالب بحقك من أداء واجبك كاملا !

ثم تطور الأمر إلى حملة تشهير أخرى ، فجاوز نطاق الشكاوى المعلومة والمجهولة إلى الصحف ، يستدرون عطف كتابها ، ويستثيرونهم على أناس ، نعدهم نحن أساتذة لنا وموجهين ، على رغم ما قد ينشب بيننا وبينهم من خلاف أحيانا . وأخذت الحالة لبوسا جديدا ، فكانت حملة قاسية عنيفة ، من كاتب كبير فى صحيفة ذائعة على خريجى دار العلوم ، فكتبت سطورا أدفع بها ما ترمى به طائفتى من شر ، بإظهار الحقيقة كاملة ، وبيان ما تحمل هذه الدعوى فى طياتها من غرض خبيث ، وما تهدف إليه من إشاعة روح الفرقة والبغضاء !

* * *

وأما الشق الثانى فكان تقريرا لواقع الأزهر فى العشرة أعوام الأخيرة ، ولقد عشت فيه ، وقضيت برحابه زمنا ، فوجدت واقعه عفنا ، وأفسق بعقلى إذا ارتضيته أو دافعت عنه ، أو سكت عليه ، أو واطأت أحدا على بقائه . وما أشبه الذين يرتضونه من أبنائه ، بالقروى الذى لم يطعم غير الخبز ، فهو بظنه أحلى ما فى الوجود من فاكهة . ولم أعتب عليهم أبدا ، لقد كنت أنا مثلهم يوما ! ... وكنا لجهلنا المطبق بما تزدحم به الحياة حولنا ، نظن أن علم الأزهر هو كل ما عرفت الإنسانية من ثقافات ، وأن هذا الكلام الذى يدرسه طلاب المدارس على اختلافها هذر سخيف لا جدوى منه ولا فائدة فيه . وكنا نضرب أياما طوالا ، نهتف فيها من أغوار حناجرنا « افتحوا لنا الكلية الحربية .. افتحوا لنا كليات البوليس والآداب » إلى آخر ما كنا نسمع من أسماء الكليات !

كان ذلك من زمن ، وظننت الأزهر — وقد فارقته — قد أصابه مس الحضارة فتغير فى نظمه ، وتطورت عقليته ، كما تغيرت فى مصر أشياء كثيرة ؛ حتى إذا سمعتهم يهتفون أمام اللواء محمد نجيب حين زارهم ، « افتحوا لنا الكلية الحربية » عرفت أن الحال كما هو ، وأن أشقاءنا الأزهريين ، يعيشون فى واد تقطعت به أسباب الحياة !

ولا أزال أذكر من هذا الواقع حتى الساعة ، كيف قدمنا للأزهر للمرة الأولى ، صغار السن طرايا العقل ، فاستقبلنا بالسخف الذى يستقبل به طلابه حتى الآن ، أى المذاهب تختارون ؟ ... مذهب أبى حنيفة ، أم مالك أم الشافعى أم ابن حنبل ؟ ولم نكن نعرف عن واحد من هؤلاء شيئا ، فمن كان والده على شئ من الدهاء ، اختار له مذهب أبى حنيفة ليصبح قاضيا شرعيا ، أما الباقون فيتابعون السير هكذا عميا ، حتى إذا استقر بنا المقام بدأنا نتعصب لهذه المذاهب ، ونتقاتل عليها ، كل يزعم لإمامه العلم والفضل ، وكان المالكية يباهون بأن إمامهم ، مكتوب على فخذه الأيمن أو الأيسر — لست أدرى — بقلم القدرة ، « مالك حجة الله فى أرضه » إلى آخر ما تحكى الكتب من خرافات وأباطيل !

وكان هذا التعصب الأعمى وضيق الأفق ، ينمو معنا شيئا فشيئا ، وهو مفتاح لمعرفة كنه كثير من المشكلات الأزهرية ، فهم فى المعهد الواحد يتعصبون للمذاهب ، وفى الكليات المجتمعة يتعصبون للأقاليم ، وفى الوظائف يتعصبون للأشخاص ، وفى المدارس يتعصبون على دار العلوم ، متابعة لطرائقهم هناك ليس إلا !

وقد فتح هذا التعصب للمذاهب والأشخاص والأحزاب أبوابا لمساومات كان ضحيتها العلم والثقافة دائما ، فانحط مستوى الطلاب انحطاطا بشعا ، انحطاطا دفع أستاذا كبيرا للفلسفة فى دار العلوم ، ندب لتصحيح المنطق بالشهادة العالية لكلية اللغة العربية ، أن يرفض ذلك ، معتصما بمنصبه من أن يتخذ ستارا ، وبإسمه من أن يستغل لستر ما شهد من فضائح . لقد وجد أن ما درس لطلاب الشهادة العالية فى عام كامل ، ست عشرة صحيفة من كتاب « المنطق التوجيهى » المقرر على طلبة التوجيهية وفى حدود هذه الصفحات التافهة وضع الامتحان !

وكان سباق الأزهر إلى الوراء داعيا إلى الأسى والرثاء ، يضرب الطلاب عاما كاملا ، لا يحضرون فيه غير أسابيع معدودة ، ثم تكون نتائج امتحانات النقل ٩٠ ٪ أو تزيد ... كانت عملية « تفريغ » من نوع فريد ، ينقل الذين فى السنة الأولى إلى الثانية ، والذين فى الثانية إلى الثالثة ، وهكذا ، ويمنح الذين يتخرجون فيه شهادات تحسب له وتعد عليه ، وكاد الغش الجماعى ، إن صح هذا التعبير ، معروفا وذائعا ومرضيا عنه !

وقد حاول الخيرون من أصحاب الضمائر الحية أن يوقفوا هذه الموجة المدمرة ، فكان نصيبهم أن أبعدوا أو اضطهدوا . وأذكر أن الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت وقف من عامين ، وكان رئيسا لامتحان شهادة العالية ، يعلن بأعلى صوته « إن الأزهر يتصدق بشهاداته على الفقراء ! ... » فأبعدوه عنها واختاروا سواه ، على ما هو عليه من علم وفضل وخلق ،

وشيئا فشيئا حطم الفساد فى الأزهر كل معانى الفضيلة والاستقامة ، فكان الطلاب يقيمون فى بلادهم طوال العام ، يعملون فى التدريس أو شيئا آخر ، ولا يحضرون القاهرة إلا ليؤدوا الامتحان . ومع ذلك كله ، كانوا يكتبون حاضرين يوميا ، ويخول لهم ذلك حق الاستيلاء على المكافأة والجراية وبدل الغذاء وبدل الكتب ، وهى مبالغ تخول لصاحبها حياة نظيفة ، لو كان مخلصا للعلم راغبا فيه ، مقبلا عليه . وآسف جدا أن أقرر ، أن ذلك فتح سوقا نافقة للرشوة ، والاتجار بالضمائر والتلاعب فى السجلات !

٣ - كوليرج

للأديب الناقد . اى . لى . كيلركويج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تتمـة

قبل أن نلوم ضعف كوليرج الإنسانى ، دعنا نسأل أنفسنا عما إذا كان من الممكن لأى إنسان أن ينظم قصائد متعاقبة من طراز النوتى القديم ، ولـكن إن فرضنا الإعجاز — وهو ما كان موهوبا به — فإنه (أى الإعجاز) ليست له القدرة الـكافية بإلزام الرجل على إنهاك نفسه . أو بكلمة أخرى دعنـا نبحث ونتساءل عما إذا كان انقطاع الفيض القدسى مرده ضعفه أم سببه هو استنزاف تلك القوة الخفية ؟ وهو ما نعتقده ونؤمن به . والجواب القاطع عن مثل هذا السؤال موجود فى قصيدته (كرستابل) كما أن قصيدته (قوبلاى خان) تشد أزر مثل هـذا الرأى وتعززه بدليل آخر بلا أدنى شك ولا أقل ريب . يحدثنا كوليرج نفسه بذلك فيذهب إلى القول بأنه شرع بنظم (كرستابل) فى سـنة ١٧٩٧ ، أى إما أن يقول ذلك قبل أو فى غضون نظمه (للنوتى القديم . وقد امتازت هـذه الفترة بخلوها من تعاطى الأفيون . ومع هذا فكل من يحاول أن يقلب الصفحات الأولى من (كرستابل) سـيرى بعينه أنه من المستحيل إتمـامها بأية حالة كانت . ولا شك أن كوليرج اعتقـد جازما بأن فى قدرته إكمالها ، ولـكنه فى نضاله لتحقيق ذلك كان يجالد أعـداء أقوى من الأفيون وذلك لأنه كان يقارع المقادير التى تتحكم فى مصائر الأشياء كيفما تشاء ، فتنتهى على الصورة التى تريدها وبالـكيفية التى ترضاها

أما نغمات (كرستابل) التى أجاد فى وضعها الشاعر ، فهى تعالى فى آذاننا نوعا من التداعى والارتبـاط بجلجلة

وكان هذا الانصراف عن الدرس ، أخطر ما قضى على كيان الأزهر الثقافى قضاء تاما ، فليست الثقافة كتابا يحفظ ، وإلا كانت مصر فى غنى عن الجامعات والمعاهـد العليا ، ولـكنها تفاعل بين مستويات متباينة ، يـكون الفرد فيهـا قدوة لغيره فى ناحية ، ومقتديا فى نواح أخر كثيرة ، وباحثا عن مثله الأعلى فى هذا المحيط . وقد يجده فيه ، وقد يجده فى الطريق أو فى محاضرة ، أو فى مكتبـة أو فى صحيفة ، أو فى ناد أو فى زمالة ، وهى هواد لا توجد فى محيط القرية المصرية بحال !

* * *

ماذا تنكرون مما أقول ؟

إن المثقفين من شبـاب الأزهر يعرفون ما أعرف وزيادة . والفارق بيننا ، أنهم يعالجون الأمر فى مقـالات ملساء ، وأصوات خافتة ، وهمسات ناعمة ، أما أنا ، فأرى أن الفساد أقوى من أن يزعجه النصح الضاحك ، وأعتى من أن يوقفه الإرشاد الحى ، وأخطر من أن نسكت عليه أو نساومه !

لقد خرجنا من الأزهر بعاهات مستديمة ... عاهات أصبنا بها فى عقولنا وفى ثقافتنا ، وفى أذواقنا وفى شبابنا ، ولن نرضى لإخواننا أن يصابوا بها ، أو أن يذهبـوا ضحايا لها ، ولن نيأس من الدعوة إلى الإصـلاح أبدا ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الـكافرون ،

* * *

هذا هو الحق ، لا تضطربوا ! ...

هذا هو الواقع ، لا تنزعجوا ! ...

الجبناء وحدهم هم الذين يسكتون على ما يعرفون من جرائم وآثام !

الطاهر أحمد مكى

(سكوت) كما هى الحال وبصورة أسوأ مع بارون الذى استمارها بدوره من سكوت . ولا تزال هذه الفظاظة على شدتها فى أيامها هذه ، لدرجة أن إيقاعها الوسيقى أسف إسفافا كبيرا ... والخلاصة أن هنالك كثيرا ممن يرى فى (كرستابل) زيفا لا معنى له متناثرا هنا وهناك ، ومع ذلك فإن أصالتهـا وجمالها فى بعض الأبيات مما يدهش ويبعث على الغبطة والسرور . أما (قوبلاى خان) — فحتى إذا فرضنا أن ذلك الشخص من (بورلوك)[1] لم يبترها — فكيف لنا أن نتصور بأن فى الإمكان إتمامها أو حتى الاستمرار بها قليلا . ولكنها مع كل ذلك ، أعظم قطعة ساحرة تخلب الألباب وتسلب الأذهان فى الشعر الإنجليزى على الأطلاق . وبعد مضى ثلاثة أسابيع من تلك الليلة الزاهرة التى أتم فيها أغنيته الخالدة (أعنى النوتى القديم) سار ورفاقه يوما مامنشدا إياها وكان فى معيته آنئذ وردزورث وقد قال كوليرج عنه فى سياق إحدى رسائله إلى أصدقائه « أنه . أى ورد زورث) يتقدم تقدما متواصلا فى مجال الشعر وأنه يشعر بأن البلاد تزداد حسنا وجمالا فى كل يوم) وقد أصبح لبهاء هذا الصيف (فى كوانتوك) مكانه اللائق به فى سجل تاريخنا الأدبى . لقد انتهى موسم حصاد كوليرج، وبدأ موسم ورد زورث الذى بدا زاهرا باهرا فيه الآمال العراض والأمانى العذاب . وبعد ذلك حدث أن ارتحل الأخ والأخت من (الفوكسدن) فى منتصف الصيف ، وفى أيلول لقيهم كوليرج فى لندن فابحروا جميعا فى سفرة رائعة إلى هامبورغ فى ألمانيا . ومن اللاحظ فى هذا الخصوص أن (الأغانى) التى نظمها ورد زورث طبعت مـ. قبل عدة أيام من أهداء كوليرج (للنوتى القديم) و (البلبل) و (حكاية المرضعة) و (الزنزانة) . وقد أطلق كل من الصديقين قذيفته وذهبا فرحين كل إلى جهة معينة . أما قذيفة ورد زورث فكانت بمثابة صاعقة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ولو أن بريطانيا قابلتها ببرودتها المعهودة

ولكن السيدة كوليرج علقت على ذلك بقولها « لا يحب الأغانى أحد قط ! » . ولم تمض عدة أيام على وصول الأصدقاء إلى هامبورغ حتى انفرط عقدهم ، فارتحل كوليرج إلى (راتزبورغ) وفى نيته تعلم اللغة الألمانية ومن هناك عاد إلى (نيذر ستاوى) فى تموز عام ١٧٩٩ . وفى نهاية السنة لقى عائلة ورد زورث وطاف معهم فى منطقة البحيرات وبعد ذلك استقر آل ورد زورث فى (دوف كوتيج) فى (كراءمر) وفى تموز من السنة التالية انتقل كوليرج إلى جوارهم فى (كريتا هول ، كيزوك) على مقربة اثنى عشر ميلا منهم . وكان ورد زورث فى إبان نشاطه ووفرة قوته فى هذه الاثناء ، ومع هذا فإن التعارف الجديد لم يجلب لكوليرج ربيعا جديدا . فساوذى لن تعاد مرة أخرى . وهنا لسوء الحظ أو لحسنه يمكن أن تنتهى القصة لسوء الحظ لأن فترة نظم الشعر انقضى أجلها وذهب ريحها ، وفى ذلك يقول كوليرج بالذات « إنه نبذ الشعر ملتمسا النجاة فى الميتافيزيقا » زد على ذلك أنه أسلم نفسه نهائيا إلى عبودية الأفيون؛ ولحسن الحظ أن نهاية هذه الفترة تحول بيننا وبين اقتفاء أثره فى سفرته إلى برستول ومالطة ، وما تخلل ذلك من منازعات ومصالحات وعهود واختلاطات وعودة إلى الأفيون وشفائه منه جزئيا ثم ارتكاسه وانتكاسه ويأسه ثم غروب شمس حياته النبيلة الطيبة فى دار (جلمان) فى (هاى جيت)

وعلى كل حال دعنا نلاحظ شيئين قبل الاقتناع بما يدلى به بعض الذين يكتبون بسخرية عن كوليرج وضعفه . فأولا أنه كافح وجالد وقارع فى أعمق مهاوى اليأس فخرج منتصرا فى نهاية الأمر . لقد نال النصر بعد أن قدم فى سبيل ذلك ثمنا باهظا جدا . ولقد أصاب هذا النضال الشاق الدامى مئات من الكفايات الممتازة التى كان يتمتع بها ، ولكن الرجل بالرغم من هذه الجروح والكلوم التى استنزفت دماء حياته ، وخرج وبيده المرتعشة كأس النصر وعلى رأسه الدامى أكليل الغار . أضف إلى ذلك

(١) شخصية خيالية

أن علينا أن نلحظ أثناء مطالعتنا للمنازعات والخصومات ونا تبع ذلك من سوء التفاهم المزمن بينه وبين أصدقائه بأن الوقت كلما محا سببا من أسبابه هذه الأمور التافهة ظهرت طيبة كوليرج الطبيعية جلية واضحة سافرة عارية . وكيف أن كوليرج — بمرور الأيام — يخرج بريشا من كل التهم التي الصقت به جزافا بدافع الضغينة والحسد . لقد عرف كوليرج ضعفه واعترف به ، ولكنه ، على الأقل تسلم من ذلك الرقة والشفقة حيال ضعف أصدقائه ... ولكن هذا المزاج الرقيق جعله مبهما وغامضا لدى جماعة ساوذى وهازلت ، كما جعله غريبا عند ورد زورث ذى الشخصية المركزية

وهكذا فبهاء فكره هو الذي عزله عن محيط أصدقائه ... فالعدل والإنصاف يوجبان علينا تصور كوليرج عندما كان قوة مؤثرة فى محبيه والملتفين حوله فى أيام عزه ، وليس كوليرج أيام (هاى جيت) المتأخرة ، ذلك العملاق الذى انهار صرح مجده وانهدت أركان قوته والذى مسخ صورته كارليل مما ألصق به عيباً لا يمحى ؛ ولا حتى كوليرج سنة ١٨١٦ ، الذى طلب للامب أن يضمنه (برئيس اللائكة الذى أصابه البلى) فى رسالة صداقية إلى وردزورث. فليس هذا هو الذى يحببنا بكوليرج ، بل الذى يجذبنا اليه ويجعلنا نتعلق به هو تلك الشخصية السامية التى غدت ذكرى عاطرة وفكرة باقية فى ذهن لامب وعلى شفتيه فى تلك الأيام القليلة التى ظل متعلقا بها بإهاب الحياة بعده . وقد قال بصدد ذلك : (لقد مات كوليرج ، ولكن روحه العظيمة الحبيبة لا تزال تكثر من الترداد على . لم أر مثيلا له ولا يحتمل أن يرى العالم ذلك مرة أخرى . ويظهر أننى أحب البيت الذى قضى فيه نحبه بانفعال أشد من الوقت الذى كان يسكن فيه ، فما كان مسكنا له أصبح لدى معبدا) ... ومع ذلك فان الناس سيظلون يتخيلون ويخمنون فيما كان يمكن أن يتركه كوليرج من كنوز لو أنه لم يشرب الافيون أو لو أنه تمكن من نبذ الميتافيزيقا أو لو أنه اقترن بدوروثى وردزورث ، أو لو أنه أخذ بنصح أصدقائه الذين أرادوا إنقاذه . وقد كتب بهذا الخصوص الدكتور جارنيت قائلا : عاش كوليرج حتى عام ١٨٣٤ ، ولو أن كل سنة من حياته أنتجت ما أنتجه خصول سنة ١٧٩٣ لأصبح إنتاجه أعظم كمية ونوعية من إنتاج معاصريه جميعا . وأما منا بعد كل هذا ، هذا السؤال الملح : أيهما كان مدينا لصاحبه كوليرج أم وردزورث فى غضون مكثهما فى (كوانتوك) ؟ وهذا السؤال — كما يعتقد المرثوماس براون — سؤال محير . ولم نثر هذا السؤال إلا لأعتقادنا بانه لم يوضع له جواب مقنع الى الآن . ومن المعتاد أن يجادل بعضهم فى هذا ذاهبين إلى أن كوليرج استلم أكثر مما أعطى لأنه كان أكثر تأثيرا فى صاحبه ، ولكننا نعارض هذا الرأى لأننا نعتقد بأنه أعطى أكثر مما استلم لأن بمجرد وجوده ، بما امتاز به من قوة إيحائية ، جعلت هيمنة شخصيته واضحة الأثر فى خدينه . وما لنا (للتدليل على ذلك) إلا أن نلاحظ بعض الحوادث فى هذا الباب . فقد نظم كوليرج قصيدته (مظلة شجرة الليمون) فى سنة ١٨٩٨ ، و (البرد فى منتصف الليل) فى شباط ١٧٧٨ ، أما قصيدته الجليلة (البلبل) فهى تعود إلى صيف ١٧٧٨ ، والذى نراه فى هذه القصائد أنها أعظم مما أنتجه وردزورث ولو أنها تدعى الآن (وردزورثية) ، ومع ذلك فان وردزورث لم يبلغ ذروة شاعريته فى سنة ١٧٩٨ اللهم إلا باستثناء قصيدته (الشوك) . فبينما كان كوليرج ينظم قصائده الرائعة كان وردزورث يكتب (سيمون لى) و (جودى بليك) التافهتين . وهكذا لم يتمكن وردزورث من نظم ماله قيمة إلا بعد أن كان كوليرج قد أدى مهمته خير الإداء ، وبذا يكون كوليرج هو الذى علم وردزورث الألحان المذاب لحنها هذا الأخير بدوره . اما ألحان قصيدة (النوتى القديم) فكانت فريدة فى بابها عجيبة فى صياغتها ، بحيث لم يأت شاعر بمثلها لا من قبل ولا من بعد ، حتى شكسبير لم يكد يبلغ أوجها على قيثارة (إيريل)

الدراق ، بعقوبة : يوسف عبد المسيح ثروت

الشجرة الرائدة

للأستاذ أحمد زكي أبو شادي

سيطر الصقيع على الغابة ، وأخذت الرياح الباردة تضرب الأغصان بعضها ببعض . كانت الأيام باردة نهاراً وقارسة ليلا . ولكن إحساسا باقبال الربيع نشأ في الغابة ؛ وإذ نشأ هذا الإحساس واجهه شعور آخر مضاد ، وهو الخوف من أن يؤدي التبدل إلى عاقبة أوخم . فقالت كل شجرة لنفسها : « لن أجرأ على أن أكون الرائدة في الاعتراف بالربيع حتى لا تصاب براعيمي بأذى » . وراحت سنديانة عتيقة تحذر جارة لها من عقبى التسرع . فأجابتها جارتها قائلة : « أيتها السنديانة التي كثيرا ماضربتها الرياح ! ألا يبهجك مهرجان الحياة التي يأتي بها الربيع ؟ » فساد السكون أياماً ، ثم جاء صبح تمكنت فيه أشعة الشمس من مداعبة شجر الحور ، فتفتقت إحداها ، ثم تبعتها بقية الغابة !

* * *

سيطر البرد والصقيع على الغابة   واشتد عصف قاسي الرياح
لم يبال البرد المشوم بكنز   مستسر [1] في هذه الأرواح
أو لعل الصقيع والبرد كانا   يحرسان الحياة بالترهيب
فالبراعيم ملؤها خطرات   حالمات في مهدهن العجيب
وتمشى في الغابة الحب والشو   ق لداني الربيع وهو بعيد
أترى كانت البراعيم سكرى   أم توارت وكلهن شهود؟
أيحس النبات إحساس صوفي وإحساس شاعر مسجون
هامساً بالصلاة تنشق في الجو حناناً ورعشة للغصون ؟
ثم ساد الأشجار خوف غريب   من جديد يكون شر البديل
ربما كان مرهق اليوم يمحى   حين تلقى الغد المخيف الوبيل
ومضت وهي في التياع تناجي   نفسها ، لا تود مرأى الربيع
لا تود اعترافها بقدوم   موشك قد يخونها للصقيع
فبراعيمها حياة لآتيهـا ، وإيذاؤها هوان وموت
هي أولادها ، كأن قصيداً   قد حواها فهن بيت وبيت !
ومضت سنديانة ضربتها   قاسيات الرياح عمراً طويل
في حذار تقول للجارة العقبى إذا جازفت وجود هزيل
فأجابت: ألا تسرين من مو   كب هذي الحياة حول الربيع؟
وإيه يا جارتي ! لقد خانك الرأي ، فان الربيع رب وديع !
إنه واهب الحياة وإن لم   يبق في ركبه سوى أيام
إنه الخالد المجدد فينـا   حلو أعمارنا بعام وعام !
فأفاض السكون حسناً عجيباً   بعد صمت كالسحر ران عليها
ثم وافى صبح تجلت به الشمس بإشعاعها حناناً لديها
داعبت في شعاعها شجر الحور فذر [2] الصبا الزمرد عنها
واستفاقت في إثرها شجرات   فتزيت بكل مارف منها !

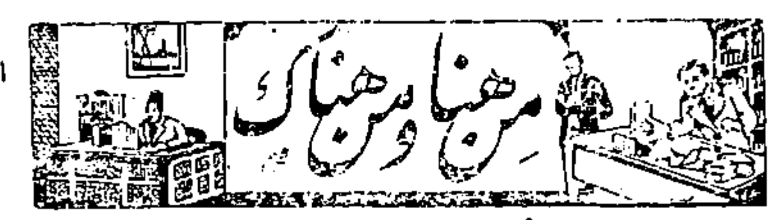
* * *

ذاك سر للغابة احتضنته   وهو سر النهوض في كل حي
ثورة للتحرر المتناهي واحتقـار للعجز في كل شي
من يبالي الرياح والبرد لم يسلم ، ومن هم لم يخنه نهوضه
من يهاب الأخطار حامت حواليه ، ومازل من حماه ركوضه
كم شعوب خوف الممات من الموت تعاني ، وما المهاب من رائد
هي نهب للجهل والسقم والفقر ، وصيد محلل للصائد !
فلنحي الأشجار في الغابة الحرة ، ولنحي ذكرها في العظات
ولنمجد روح الريادة فيها   تلك روح كفيلة بالحياة
كم رموز ملء الوجود تناجينا وتوحي لنا دروس الخلاص
ليس حتماً على الأنام ممات ، إنما الموت صورة من قصاص
ولتكرم من يرفض الموت والذل ، ومن جاء بالبشارة فينا
والذي أخرج الضياء من الظلمة حتى أعز شعبا مهينا !

نيويورك :   **أحمد زكي أبو شادي**

(1) مستسر — مستتر ومتوار

(2) فذر — فأطلع



الشاعر الأمريكى همنجوى

يعد إرنست همنجوى فى طليعة الكتاب الأمريكيين المعاصرين بل أحد كبار أدباء العالم الأحياء . وقد صدر له مؤخرا كتاب صغير بعنوان « الرجل المسن والبحر » لا يتجاوز ٢٧ ألف كلمة ، كتبه هو وفى مصيفه فى كوبا . وقد أثار هذا الكتاب فضول النقاد وجمهور القراء قبل صدوره ؛ وذلك لأن مجلة «لايف» الأمريكية التى يزيد عدد مايباع منها على خمسة ملايين نسخة نشرت الكتاب بأكمله فى عدد من أعدادها قبل أن تذيعه دار النشر بأحد عشر يوما

وللمرة الأولى فى التاريخ ينشر كتاب بأكمله فى عدد واحد من مجلة ما . وقد علق المؤلف الذى تقاضى من المجلة المذكورة أكثر من ثلاثين ألف دولار على ذلك بقوله : لقد استفزتنى فكرة نشر المجلة للكتاب بحيث يكون فى متناول مئات الآلاف من القراء مقابل عشرين سنتا . وقد سرنى هذا العمل أكثر مما لو كنت ربحت جائزة « نوبل »

وقد مهدت المجلة الكتاب بكلمة مناسبة وأرسلت قبل نشره بعدة أسابيع مسودة كاملة منه لمئات النقاد والصحفيين . أما موضوع الكتاب فهو أن صيادا مسنا من كوبا بعد أن قضى ٨٤ يوما متجولا بزورقه فى البحر دون أن يصطاد شيئا أمسكت صنارته فى اليوم الخامس والثمانين سمكة ضخمة . ولما كان وحيدا لم يستطع جذب صنارته بصيدها الثقيل ولا شد حبلها إلى الزورق فاضطر إلى أن يظل فى جذب ودفع مع السمكة أياما وليالى يعضه الجوع والتعب والألم ويحز الحبل يده . وأخيرا تمكن من إمساك السمكة وربطها إلى زورقه ، ولكنه عاد يكافح فى طريقه كلاب البحر ويحاول ردهم عن السمكة . غير أنه لم يبلغ الشاطئ إلا بعد أن كانت كلاب البحر قد نهشت السمكة ولم تبق له منها سوى هيكلها العظمى

هذه هى القصة ببساطتها وروعتها وهى تعد فى نظر القسم الأكبر من النقاد ابدع ما كتبه همنجوى حتى الآن . أما هو فقد قال عنها إنها زبدة ما تعلمه فى حياته

من شروط القصة

انصرفت أفكار الكتاب أخيرا إلى البحث فى حدود القصة وشروطها وأهدافها . ومثل ذلك قام به كتاب القرن الماضى أمثال ستندال وهوجو وبلزاك وجورج صند وفلوبير . وقد كان لكل من هؤلاء الكتاب رأيه الخاص فى الأدب القصصى الذى انصرفوا إليه

كان فيكتور هوجو يحمل بشدة على القصص النقلية والوصفية والإنشائية داعيا الكتاب إلى هجر هذا النوع من الأدب القصصى والاعتياض عنه بالأدب التصويرى الذى يعبر عن المثل المفيد والقدوة الحسنة والفكرة الناضجة بحيث تكون القصة صورة أمينة للحياة

وكان ستيندال يؤثر القصة التى ترتكز على حوادث بسيطة حقيقية مكتوبة بلغة سهلة وأسلوب طبيعى يكون مفهوما من كل طبقات القراء . ولم يكن أبغض إليه من تلك الوثبات البيانية والبلاغة الانشائية لاعتقاده أنها تصرف الفكر عن إدراك ما فى القصة من الحوادث والمرامى والفكر

وكانت جورج صند تعتبر القصة واسطة لإيقاظ العاطفة التى توحى الموضوع ، ولكن بشرط أن يستقيم الموضوع فى إطار من الشعور الواقعى العميق

أما فلوبر فقد كان رأيه مخالفا لرأى جورج صند ، كان يريد أن تكون القصة سجلا لحوادث وأفكار ومشاهد واقعية بحتة

وكان بلزاك ، وهو أقدر من عالج الأدب القصصي ، يصرح قائلا أن الحقيقة الأدبية هي غير الحقيقة الطبيعيـة وهي تقضي على القصصي أن يغير ويبدل في أشخـاص روايته بحيث يتحولون إلى أشخاص رمزيين ، وأن يقلل ما استطـاع من تمسكه بالأشخاص الطبيعيين . ومن قوله أن للقصة غاية تهذيبية تجـبره على تصوير الشر ولـكن بشرط أن يرفق هذا التصوير بفكرة أدبية بالغة

هذه هي آراء بعض كتاب القرن الماضي في القصة . أما كتاب هـذا القرن أمثال بروست وجوليني وغيرهما فقد انصرفوا من مدة غير بعيدة إلى معالجة هذا الموضوع ولـكنهم لم ينتهوا حتى اليوم إلى نقطة حاسمة

رأى جديد في جان دارك

أصدر الـكاتب المؤرخ جان جريمود مؤلفا حـديثا بعنوان « هل أحرقوا جان دارك ؟ » أنكر فيه قداسـة جان دارك معبودة الشعب الفرنسي وأولى بطلاته . وقد أحدث صدور هـذا الـكتاب ضجة في دوائر الأدب وبين أحبـار الـكنيسـة الـكاثوليكية الذين راحوا يناقشون مؤلفـه ويسفهون أقواله . يقول جان جريمود في كتابه إن الإنجليز لم يحرقوا عذراء أورليان في عام ١٤٣١ بل عفوا عنها وأطلقوا سراحها . وهو يستند في قوله هذا إلى ما يأتي : أولا — أن جان دارك التي يقال إنها ابنـة لا بوين فقيرين هي في الحقيقة ابنة لقيطة لدوق أورليـان شقيق كارلوس السابع والزابث دى بافيرا وقد تبنتهـا أسرة أرك . ثانيا — أن الإنجليز لم يحرقوا جان دارك بل أحرقوا بدلها ساحرة محكوم عليها بالإعدام . ثالثا — أن جان دارك عادت إلى لورانا وتزوجت من شريف خامـل الذكر يدعى روبرت دى ارمواز

ومن الذين ردوا على جريمود الراهب اليسوعي دونكير الذي جمل حياته لدرس تاريخ جان دارك فقال إن كتاب جريمود مملوء من بالأغـلاط فضلا عن خلوه من أية أدلة تاريخية . وفي رأى الـكاتب لوسيان فابر ، الذي ربح جائزة جونكور الأدبيـة ، أن مطالعة كتاب جريمود مسلاة ولـكن براهينه واهية لا تقنع . ولـكن جريمود يؤكد أن البرهان على أصل جان دارك هو في شـعارها الذي يحمل الزنبقتين وأ كليل شعار العائلة المالـكة ، وأن الفرق الوحيد هو في الخط الذي يخترق الشعار للدلالة على أصلها . ومن قوله أيضا أن جان دارك قابلت كارلوس السـابع في قصر شينون وكشفت له عن أصلها ، وأن الإنكليز الذين أسروها وحاكموها كانوا يعرفون جيدا من هي أسيرتهم ، وأن جان دارك اختفت بصورة غامضة خلال خمس سـنوات قضتها في انكلترا ، وأن المرأة التي أحرقت كانت ساحرة حكم عليها بالإعـدام ، وأنهم خلافا لما جرت عليه العـادة لم يسمحوا للجمهور بالاقتراب من المحرقة ، وأنهم سـتروا وجه الضحية بنقـاب كثيف حتى لا تعرف . ومن الأدلة التي أوردهـا جريمود على صحة قوله أن جان دارك عادت إلى لورانا لتقـترن بالشريف روبرت دى ارمواز في أولون من أعمال لوشمبورغ ، وأن وثيقة الزواج التي وقعها رئيس كهنة سانت تيبود في متز بتاريخ اليوم السابع من شهر نوفمبر عام ١٤٣٦ تقول : « نحن روبرت دى ارمواز وجان عذراء فرنـسا الخ » تثبت أقواله . ومما قاله أيضا أنه سيخصص كل أيام حياته لا كتشاف وثائق جديدة من شأنها أماطة اللثام عن هذه القضية

مذنب عام ١٩٥٤

يقترب الآن من الشمس المذنب المدعو (بون — بروكس) وهو من المذنبات الساطعة المعدودة في الدرجة الخامسة من الإشراق . وستمكن رؤيته بالعين المجردة في طور اقترابه الأخير ويكون موعد تدانيه الأقصى من الشمس في السابع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٥٤

وظهر هذا المذنب للمرة الأخـيرة منذ زهاء السبعين عاما في صيف ١٨٨٣ — ١٨٨٤ وكان يعد حينـذاك في

الدرجـة الرابعة من الإشراق وظل باديا للعيان مدى ثلاثة أشهر

أما كاشف هـذا المذنب فهو الفلـكى الفرنسى جان لويس بون . وقد كشف فى حياته من هـذه الأجرام السماوية أكبر عدد تمكن من كشفه عالم واحد حتى اليوم ، ويكفى أن نعلم أنه أعلن وجود ٢٧ نجما منها

ولما عاد المذنب المذكور إلى الظهور عام ١٨٨٣ كشف مركزه العالم و . ر . بروكس وهو كاشف عدة مذنبات أيضا ولذلك نرى هذا المذنب يحمل اسم ذينك العالمين معا

دواء ذرى جديد لأمراض القلب

- فى برقية من شيكاغو أن عددا من أطباء أحد مستشفيات لوس أنجليس كشفوا دواء جديدا لأمراض القلب سموه « القتيل الذرى » . ويؤخذ من المعلومات التى أدلى بها هؤلاء الأطباء إلى زملائهم أعضاء الجمعية الطبية الأمريكية أن الدواء الجديد محلول من اليود يحضر فى فرن ذرى يحول بهذه العملية إلى أشـعة فعالة . ومن معلومات هؤلاء الأطباء أيضا أن لليود فى مثل هذه الحال مفعولا فى غدد العنق يؤدى إلى ارتخاء عام فى أعضاء الجسم الرئيسية وهذا الارتخاء يقلل من ضغط الدورة الدموية فيرتاح القلب ولا سيما فى مرض الذبحة الصدرية

كشف أمريكا والعرب

يؤكد الدكتور جفريس من أساتذة علم تاريخ الإنسان الطبيعى فى جامعة فيتزمرند ، أن كولومبس لم يكتشف أمريكا بل العرب هم الذين كشفوها قبله بثلاثمائة أو أربعمائة سنة وأنهم دخلوها عن طريق أفريقية الغربية حوالى عام ١١٠٠ ومن أدلة الدكتور جفريس على صحة هذا الرأى أن كولومبس عندما وصل إلى أميركا وجد فيهـا مستعمرات صغيرة من الزنوج هم من سلالة العبيد الذين كانوا قد فروا من سادتهم العرب ، كما أن وجود الجماجم فى كهوف جزيرة باهماس يدعم هـذا الرأى . ومن أدلته أيضا أن كولومبس وجد فى جزيرة كارايباس زراعة القنب التى جئ بها من أفريقية ، بينما الذرة والمندبوكا التى هى من مزروعات أميركا الخاصة كانت تزرع فى العالم القديم قبل ولادة كولومبس . وهذا يدل على أن الذين نقلوا زراعة القنب إلى أمريكا نقلوا هذه المزروعات إلى بلادهم بما فيهـا الذرة التى كانت تدعى « الحنطة التركية »

كشف نقود عربية قديمة

من أخبار استوكهلم عاصمة اسوج أنهـم عثروا فى جزيرة غوتلندا الواقعة فى بحر البلطيق على ألف ومائة قطعة من النقود العربية القديمة يعود تاريخهـا إلى القرن العاشر للتاريخ المسيحى . وجميع هـذه النقود من الفضة ، والكتابة فى أربعمائة منها واضحة لم يؤثر فيها مرور الزمن . والاعتقـاد السـائد هو أن تلك النقود العربية وصلت عن طريق روسيا إلى تلك الجزيرة الشمالية التى كانت فى ذلك العصر مركزا ممتازا للتجارة والثقافة والمعـاملات المالية كافة فى عهد قبائل الفنكس التى اشتهرت فى ذلك الحين

محاضرات ومناظرات

حياتنا الأدبية والفنية
على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

احتشد بقاعة (يورت) بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة السابق آلاف من الناس لسماع هذه المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين ، حتى ضاقت بهم القاعة على رحبها ، وامتاز هذا الجمع الكبير بأنه كان يضم أكبر عدد يمكن أن يضمه جمع مثله من الصفوة المختارة من رجال الأدب والسياسة والتعليم ، واستغرق الدكتور طه حسين في إلقائها ساعة كاملة ، وانتهى منها والناس تكاد أكفهم أن تدمى من التصفيق الملتهب ، ويمكننا أن نلخص للقراء هذه المحاضرة فيما يأتي : —

أيها السادة :

أعترف لكم أنني تعرضت لكثير من الحيرة قبل أن أقدم على إلقاء هذه المحاضرة ؛ فموضوعها غامض من جهة وشائك من جهة أخرى . غامض لأن العهد الجديد — وإن كان شيئاً نحسه ونعرفه ونلمسه — فإن فلسفته لم تكتب بعد ولم تؤلف فيه الأسفار ولم تصنف له الكتب ، وأنا — كغيري من الرجال الجامعيين — رجل ينبغي عليه أن يقرأ وأن يرجع إلى الكتب وأن يحيط بالموضوع قبل أن يهم بالحديث أو الكتابة

وهو شائك لأنه قد ينتهي إلى مواطن لا يؤمن فيها الزلل ؛ فأحاديث العهد الجديد — كأحاديث العهد القديم — إذا اتصلت بالسياسة فربما جرت إلى الزلل أو إلى ما هو أكثر من الزلل !

ولكنني اعتمدت على الله — الذي أعتمد عليه دائماً في كل أمر — وجئت للتحدث إليكم وأمري وأمركم إلى الله !

وأول ما ينبغي أن نلاحظه إنما هو حال الأدب قبل العهد الجديد ، كيف كان ؟ ومم كان يشكو ؟ وبماذا كان الأدباء يضيقون ؟ والملاحظة اليسيرة تدلنا على أن أول مظهر من مظاهر الأدب قبل أن تشب نار الثورة إنما هو (الخوف) الذي كان يملك على الأدباء أمرهم ويضطرهم إلى كثير من الجهد والحيلة والمناورة والداورة ليقولوا — ما يريدون أن يقولوه — دون أن يتعرضوا لبطش السلطان وتضييق الرقابة ، سواء أكانت هذه الرقابة سافرة عند قيام الأحكام العرفية أو مستخفية كتلك التي كانت تفرضها (النيابة) حين تكون الأحكام العرفية نائمة !

ولا أدري هل كنتم تحسون ذلك الخوف أم لا ؟ وإن كان أغلب الظن أنكم كنتم تحسونه وتلحظونه من بين ثنايا ما تقرءون ، أما أنا فإني أتحدث إليكم عن علم ويقين ؛ ذلك أني كنت أحد الأدباء الذين امتحنوا في العهد القديم ، فقد تحدثت خلاله وكتبت أكثر مما تحدثت وكتبت خلال العهد الجديد ، وأؤكد لكم أنني لم أكن أفرغ يوماً أو ليلة لكتاب أو حديث دون أن أستشعر غضب السلطان علي وبطشه بي إذا كان الغد ! والأدباء — والحمد لله — بارعون مكرة مهرة في اصطناع الحيلة للتخلص من بطش السلطان ، بل للعبث بعقل السلطان ! فهم يلتمسون من طرق الرمز ومن التواء التعبير ومن فنون المناورات والمداورات فيما يكتبون وفيما يقولون ما يورط الراقبين في ألوان من الارتباك لا حد لها ! . ولقد كنت في أوربا يوماً مع الكاتب الكبير (أندريه جيد) فجاءتنا صحيفة تعلن بأن اسماعيل صدقي — في محاربته للشيوعية — قد استطرد فسن قوانين لعقاب الذين يدعون للعدل الاجتماعي ويطلبون الحرية للناس ، فضقنا بذلك أشد الضيق ، وكتمت في نفسي غيظاً بالغاً ، وأضمرت عزماً على مقاومة هذه القوانين ، فلما عدت إلى مصر — والرقابة في أوج طغيانها — لم أجد أيسر أو أبسط في مقاومة تلك القوانين من أن ألجأ إلى آيات من القرآن الكريم تدعو إلى العدل بين الناس ، وتنادي بحقهم الطبيعي في الحرية

والكرامة ، فأجعلها موضوعا لكتاباتى ، فإن استطاع إسماعيل صدقى أن يصادر القرآن الكريم فقد ورط نفسه ووقع فى حرج شديد ، وإن لم يستطع قرئ المقال وسمعت الدعوة إلى العدل الاجتماعى والحرية !

ولم أكن منفردا بهذا المكر والاحتيال بل كان الأدباء جميعهم كذلك ، وكانت بينهم وبين (النيابة) حرب متصلة ، وكانوا يقهرون (النيابة) فى أكثر الأحيان بما يحذقون من مكر واحتيال !

وهذا أمر — وان نجا الأدباء من عقابيله — فقد كان يفسد على الأدباء تفكيرهم ويجعلهم منغصين دائما ، فليس من الطبيعى ألا تفكر وألا تكتب إلا وأنت تعلم أن وراءك رقيبا يحاسبك ويؤاخذك ويستطيع أن يجرك إلى مالا تحمد عقباه !

تلك كانت الظاهرة الأولى من ظواهر الأدب قبل العهد الجديد ، وأما الظاهرة الأخرى فهى ظاهرة (الرغبة) . وأنتم تعلمون أن فى الناس ضعافا لا يقدرون على المقاومة ، وإن قدروا يوما فلن يستطيعوا المضى فى المقاومة والثبات على متاعبها ومصاعبها ، وأن فيهم الكثيرين ممن يستهويهم الإغراء وتستذلهم المنفعة . وحياة الأدباء — كما تعلمون — معرضة لكثير من الضيق والعنت والإقلال ، فما أيسر أن يضعف البعض منهم أمام مظاهر الإغراء وملحاته فيضعوا أدبهم موضع التجارة والمساومة ، والأدب الذى ينتهى إلى تلك الخسة والمهانة شر ليس وراءه شر ، وفساد للذوق وللخلق وللنفس ، وليته فساد يقف عند حد منشئه ولكنه يتجاوزه إلى قرائه وقد يكونون آلافا من الناس القليل منهم من يفطن للفساد أو لا يضعف أمامه

ولقد حدثنى الأستاذ مصطفى عبد الرازق رحمه الله أن كاتبا من الكتاب كان له راتب معلوم كل شهر من المصروفات السرية ، فإذا جرى عليه هذا الراتب فى ميقاته المضروب سكت عن كل معارضة ، وصمت عن كل قول يغضب له الإنجليز أو الوزراء الذين يستأنسون الإنجليز .

أما إذا تأخر هذا الراتب عن ميعاده المضروب عارض وثار وكتب — وكان سعد فى المنفى — يطالب بعودة (سعد) من منفاه ، فتتنبه إليه السلطة وترسل إليه راتبه فينسى سعدا إلى أن يدور الشهر فيعود فيذكر سعدا !

وهكذا دواليك ! ... هاتان هما الظاهرتان الملحوظتان — فى وضوح كثير — على أدبنا قبل العهد الجديد ، وإذا كنت قد فهمت أحاديث قائد الثورة وخطبه وبياناته — وما أشك فى أنى فهمتها لأنه لا يحسن المداورة ولا يعرف المصانعة ولا يخشى رقيبا ! — فأظن أن أول مظهر لفلسفته إنما هو تحرير المصريين جميعا من الطغيان وهو إذا حرر المصريين من الطغيان فقد حرر أدب المصريين من الخوف ومن الرغبة ومن كل أعقاب الطغيان ، وقد بدأ فى ذلك موفقا من غير شك

فالذين يظنون أن الثورة لم تهد — بعد — إلى الأدب شيئا مخطئون ، فقد أهدت الثورة إلى الأدب أن أتاحت له أن يظهر جليا صريحا سافرا لا يلتوى ولا يداور ولا يحتال ولا يخشى عنتا أو بطشا

لقد كان أدبنا تصويرا للبؤس والحرمان والشقاء والظلم الذى كانت الأمة ترسف فى أغلاله ، كان مرآة للظلام الحالك الذى كانت تحيا فيه الأمة ، والمرآة فى الظلام لا تكاد تعكس شيئا فكنا نفر من هذا الظلام إلى غير مصر ، كنا نبعد فى الزمان ونبعد فى المكان فنتكلم فى التاريخ القديم وفى الأمم القديمة والمعاصرة لنسلى أنفسنا وقراءنا عما نحن فيه من البأساء والضراء

ولكننا اليوم وبعد اليوم سنقبل على حياتنا راغبين فى تصويرها مطمئنين إليها واجدين فيها ألوانا من الأدب وفنونا من القول لم نعرفها من قبل .. ولكن هذا ليس كل ما ننتظره من الثورة ، فالأدب والفن أزهار لا يمكن أن توجد أو تزدهر فى بلد كثرته جاهلة وقلته متعلمة تعلما ليس خيرا من الجهل إلا قليلا ! وما هو الأدب فى حقيقة

الأمر ؟ وما هو الفن ؟ الأدب والفن هما تفكير وتعبير وكتابة أو قول ، ثم آذان تسمع أو عيون تقرأ ، وقلوب تعي ، وشعور يحس ويتأثر ، وأذواق تتذوق فتشعر بالمتعة والجمال ... هذا هو الأدب وهذا هو الفن ، فإذا وجدت القلة التي تفكر وتعبر وتكتب وتتحدث وتذيع ثم لم توجد الكثرة التي تسمع لها أو تتذوق منها ، فإن تلك القلة تكون أشبه شيء بالزهرات التي تظهر فجأة في الصحراء أعقاب الغيث ثم لا تلبث أن تمسها الشمس وتلح عليها فيصيبها الذبول والضمور والزوال ... فلا تريحوا أنفسكم ولا تريحوا حكامكم ولا تريحوا ثورتكم حتى يصبح التعليم ماء وهواء وحتى يصل إلى الناس في قراهم ومدنهم دون أن يجدوا مشقة أو يلاقوا عناء . ولا تصدقوا أن في انتشار التعليم — بجميع مراحله — شرا إلا على الذين يؤثرون أنفسهم بالخير من دون الناس ، أولئك الذين يريدون أن يسودوا ليتخذوا الناس عبيدا !

الإصلاح أقوى دعاية

في قاعة المحاضرات بدار جمعية الشبان المسلمين اجتمع — يوم السبت الأسبق — عدد كبير من صفوة رجال الفكر والعلم لسماع هذه المحاضرة التي ألقاها الأستاذ محمد فؤاد جلال وزير الإرشاد القومي ، والتي اقتطع الأستاذ لإلقائها ساعة ونصف الساعة من اجتماع مجلس الوزراء الذي كان منعقدا في نفس الوقت . وكانت نبرات الأستاذ المحاضر ونغماته — ونغمة الصوت كما يقولون نصف اللغة — تدل على ما بنفس الرجل من رغبة مكينة في الإصلاح الشامل السريع ، وعقب عليه — كشأنه دائما — الدكتور منصور فهمي فكان تعقيبه فيضا من الثناء أسبغه على المحاضر ، والمحاضر ينطوي على نفسه حياء وخجلا ! ونلخص المحاضرة بما يأتي : —

عندما نتكلم عن « الإصلاح » فإنما نتكلم عن شيء فكر فيه الجميع وعالجه الجميع واتفق عليه الناس جميعا . فكلنا يعتقد بضرورة (الإصلاح) ، الفلاح والعامل والموظف والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرهم ، ولكل من هؤلاء أسلوبه الخاص وهدفه الذي يسعى إليه. وتلك الأساليب والأهداف هي — دون سواها — ما يختلف الناس عليه عندما يتكلمون في الإصلاح

والإصلاح هو أن ترى في يومك خيرا مما رأيت في أمسك ، وأن تجد في غدك أحسن مما وجدت في يومك ، أي أن تتجه إلى الأمام دائما دون وقوف أو رجوع إلى وراء

ولكن : كيف تقوم بهذا الإصلاح ؟ وكيف نحققه في حياتنا الواقعية ؟ إن الإصلاح يجب — ابتداء — أن تكون له في أذهاننا صورة واضحة كاملة حتى يمكن أن نتجه إلى شيء له كيان قائم ومعالم معروفة ، وتلك أولى الخطوات في كل إصلاح بل في كل عمل ، فإن الأفكار إذا لم تتضح جليا قبل تنفيذها بحيث تعرف لنا دقائقها وتفصيلاتها فهيهات أن نستطيع تحقيقها . والإصلاح ينصب على حياة الناس من كافة جوانبها وزواياها ، ولن ينهض إنسان إذا قام منه جانب ومال جانب ، فإن الجانب المائل يشد إليه الجانب الذي صح وارتفع فإذا بهما منحدران معا إلى منحدرها القديم ؟

والإصلاح لا يقف عند حد ، فما دامت الحياة فهناك إصلاح متجدد ، والإنسان طموح دائما ولن يقف طموحه إلا بوقوف نبضات قلبه ! والمصلحون هم نحن أنفسنا دون سوانا ، ولن يصل أحد إلى دخائل نفس الإنسان سوى نفسه ، والفرد هو الوحدة المتكررة التي يتكون منها المجتمع ، فيجب أن يتجه الإصلاح أول ما يتجه إلى عقله وذهنه وسلوكه وبهذا نخلق الوعي بين المواطنين فيصبح طريق الإصلاح ممهدا ويقل ما ننفق في الإصلاح من جهد وننتفع بما ننفق أكبر انتفاع

علي متولي صلاح

أخبار أدبية وعلمية

مؤتمر إسلامي في القاهرة

كانت (الرسالة) أول من دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي بينت الدواعي إليه ورسمت الخطة له وأوضحت الغرض منه في مقال افتتاحي بعنوان (لا بد للاسلام من مؤتمر)

وقد فكر الأزهر اليوم في الدعوة لهذا المؤتمر فقابل وكيله هو والمرشد العام للأخوان الرئيس القائد محمد نجيب وعرضا عليه فكرة عقد مؤتمر إسلامي للشعوب الإسلامية بالقاهرة وأوضحا الأهداف التي ستتناولها أعمال هذا المؤتمر

وقد تلقت مشيخة الأزهر من رياسة مجلس الوزراء أن الحكومة لا تمانع في عقد هذا المؤتمر وأنها ترحب به وأنها ستقدم كل التسهيلات للمشتركين في هذا المؤتمر الشعبي الإسلامي

وقد استقر الرأي على أن يوجه الدعوة إلى زعماء المسلمين والهيئات الدينية في البلاد الإسلامية لحضور المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

وقد ألفت لجنة لتنظيم أعمال المؤتمر تضم ممثلين من مختلف الهيئات الإسلامية في مصر

والمؤتمر سيبحث بصفة عامة أحوال المسلمين في جميع البلاد وتقوية أواصر المودة بينهم والعمل على ضم صفوفهم

وكان معروفا من قبل أن المؤتمر سيبدأ جلساته في شهر مارس المقبل ، ولكن لضيق الوقت رئي عدم تحديد موعد جلسات المؤتمر الآن حتى تتم الوسائل الخاصة به وعندئذ يكون من السهل تحديد موعد اجتماعه

كتاب الروضة الغناء في أصول الغناء

عثر الأستاذ عثمان الكعاك حافظ المكتبة العمومية بتونس على كتاب نفيس نادر من آثار الاندلس القيمة هو كتاب «الروضة الغناء في أصول الغناء» وهو كتاب في علم الموسيقى وأصولها ينتهي فيه المؤلف بعد تحليل كل صوت من الأصوات وذكر فروعها بإيراد الأزجال والموشحات الملحنة في ذلك الصوت والتي كان يتغنى بها في عصور الاندلس الزاهرة

خريطة للقمر

نشرت جريدة فلكية أول خريطة شاملة تنشر في العالم للقمر ، ويقول العالم الذي علق على هذه الخريطة أنه لا بد أن يكون في القمر سهل فسيح الأرجاء يغطي جزءا كبيرا من المنطقة التي يمكن أن تسمى بالشمالية من هذا الكوكب السيار ، أما الجنوب ففيه أودية عميقة وجبال عالية تؤلف تممها الشكل الذي يبدو على سطح القمر وكأنه وجه إنسان ، وقد استغرق العمل في إعداد هذه الخريطة ١٤ سنة ، وقد صنع الأصل على شكل كروي قطره خمسة أمتار

والمعروف أن أكثر هذه الخرائط يعتمد على الصور التي تلتقط للقمر في أوقات شتى بواسطة المناظير المقربة. (التلسكوب)

جامعة عائمة يفترضها أغا خان

كتبت الصحيفة الباكستانية (كريتيك) أن أغاخان سيطالب في المستقبل القريب بتمويل « جامعة إسلامية عائمة » تنشأ على ظهر باخرة وتجوب موانئ الشرق الأوسط حتى يستطيع الطلاب في علمي الاقتصاد والصناعة دراسة مشاكل الأمم الإسلامية المختلفة

وقد قدم هذه الفكرة من قبل الأستاذ جلال حسين . وقد عرضت مؤسسة فورد أن تدفع لهذه الجامعة مثل ما يدفع لها أغا خان .

سكان العالم يتضاعفون بعد ٧٠ سنة

تقول آخر احصائيات الأمم المتحدة أن سكان العالم

سيتضاعفون خلال سبعين سنة إذا بقيت نسبة ازدياد السكان الحالية محافظة على مستواها ... لك سيصبح سكان العالم بعد هذه المدة ٥ مليارات و ٢٠٠ مليون تقريبا لأن عدد سكان العالم فى الوقت الحاضر يقدر بحوالى مليارين و ٧٠٠ مليون

تمثال مصرى عمره ٤٠٠٠ سنة

حصل المتحف الملكى فى اسكتلندا على تمثال نصفى مصرى قديم منحوت من حجر ذى لون قرمزى يرجع تاريخه إلى أربعة آلاف عام ، وقد يكون منحوتا من الجرانيت الوردى المعروف ، وقد وصف بأنه مثال بديع لفن النحت فى عهد المملكة الفرعونية الوسطى

ويغلب على الظن أن هذه الآثار من مخلفات الموظفين البريطانيين السابقين فى مصر

خبراء المطر الصناعى يقومون بتجارب فى صحراء مصر

يؤخذ من نبأ ورد من نيقوسيا أن خبراء المعونة الأمريكية سيجرون تجارب لإنزال المطر الصناعى فى صحراء مصر الغربية لإنشاء مناطق لزراعة الفاكهة واستنبات المراعى . وسيعمل الخبراء على تكوين سحب متجمعة فوق المناطق الساحلية تتجه نحو الصحراء ثم تنزل عليها المطر

نقل الروائع العربية إلى اللغات الأوربية

تتابع اليونيسكو إصدار سلسلة الروائع الإنسانية المترجمة ، وكانت قد أنشأت بالاتفاق مع الحكومة اللبنانية لجنة دولية فى بيروت تتولى اختيار هذه الروائع وتشرف على ترجمتها من العربية وإليها رغبة فى ربط حضارات الشرق والغرب . وقد وقع اختيار هذه اللجنة على — كتاب — الإشارات والتنبيهات ، لابن سينا ، وكتاب — البخلاء — للجاحظ — فتولت نقلهما إلى اللغة الفرنسية على أن يترجما فيما بعد إلى الإنكليزية والإسبانية ، وأصدرت أخيرا حلقة ثالثة هى كتاب — أيها الولد — للغزالى

الوصول إلى القمر فى صاروخ

صرح أربعة من كبار الفلكيين فى مجلة (نيوز آند وورلد ريبورت الأمريكية بأنه قد يكون فى الإمكان الوصول إلى القمر فى صاروخ بنفقات هائلة .. ولكن الرجال الذين يكونون فى داخل الصاروخ قد لا يستطيعون البقاء على قيد الحياة حتى تنتهى الرحلة . ولاحظوا أن الإنسان يحتاج للخروج من نطاق الطبقات الجوية المحيطة بالأرض إلى سرعة تبلغ سبعة أميال فى الثانية وأن الرحلة تستغرق إلى القمر قرابة عشر ساعات ، وإلى المريخ سبعين يوما . وأن الرحالة يحتاج فى الفضاء الكونى إلى رداء خاص للتجول فى أنحاء القمر ، ومع ذلك فقد يتجمد حتى الموت أو تصدمه ذرة كونية سريعة قد تقتله لكنه لن يسمع صوتا فوق القمر وقد لا يجد زرعا

المسلمون فى بريطانيا

جاء فى الاحصاءات الرسمية إن المسلمين أصبحوا أكبر جالية أجنبية فى بريطانيا ، ويقدر عدد المسلمين الباكستانيين وحدهم بنحو خمسين ألفا . والمسلمون منتشرون فى لندن ومعظم المدن الكبيرة والموانئ ولكن أكثر الأماكن ازدحاما بهم برمنجهام وكوفنترى التى هدمتها القنابل الألمانية خلال الحرب الأخيرة ، ويليها فى ذلك كارديف وجنوب ويلز . ثم مانشستر وليفربول وجلاسكو

ويؤلف المسلمون فى برمنجهام وكوفنترى مجتمعا صناعيا هاما وكثيرون منهم قاموا برحلات كثيرة فى العالم قبل أن يستقروا فى هذه المنطقة ، والبالغون فيهم نحو سبعة آلاف ، وأما المسلمون فى كارديف فهم من بلادشتى على رغم تآلفهم واتحادهم ، فهم من الأردن وفلسطين ومصر وسوريا والمملكة السعودية والعراق وعدن والصومال والحبشة وشمال أفريقية وزنجبار

ولمصر ٧٣٧ طالبا في انجلترا ويليها في ذلك إيران بسبعمائة طالب ، أما الباكستان فلها ٩٨٠ طالبا

وللمسلمين في انجلترا أربعة مساجد أعظمها مسجد « شاه جيهان » في ووكنج بمقاطعة صرى ، أما المساجد الثلاثة الأخرى فهى في كرديف (في ويلز) ، وايست أند بلندن ، ومسجد الأحمدية في بوتني بلندن أيضا ، وسوف ينشأ مسجد خامس كبير في حدائق المركز الإسلامي ريجنت بارك بلندن ، وهذا غير ١٢ مصلى في بيوت إسلامية أخرى ، أما المسجد الجديد فإن نفقاته لاتقل عن ١٥٠ ألف جنيه تبرعت الحكومة بأرضه وتبرع نظام حيدر أباد بخمسين ألف جنيه له وجمت له اكتتابات بلغت ١٥٠ ألفا

مؤتمر للشعر

سيعقد في مدينة بروكسل مؤتمر هو الأول من نوعه للشعر والشعراء ؛ وقد دعى إلى الاشتراك فيه فحول الشعراء في العالم وذلك لمعالجة مشكلات فن الشعر وانحطاط قيمته الجوهرية عقب الحرب

وسيقام المؤتمر برعاية رئيس وزراء بلجيكا وتحت إشراف هيئة اليونسكو ونادى القلم الدولي والمجمع العلمي الدولي في بروكسل . وسيمثل أدباء العروبة في هذا المؤتمر الشاعر رياض معلوف

الإسلام في أفريقيا

نشرت صحيفة «فيدس» التي تذيع أنباء الفاتيكان الرسمية أن عدد الذين اعتنقوا الدين الإسلامي في أواسط أفريقيا وشرقها وغربها ضعف عدد الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي

وقد أصبحت مجموعات من القرى في بعض أنحاء شرق أفريقيا البريطاني إسلامية بعد أن كانت وثنية منذ عشر سنين

ويقال إن عدد المسلمين ٨٠ مليونا والكاثوليك ١٥ مليونا من مجموع سكان أفريقيا وهم ٢٠٠ مليون و ١٧٤ ألف نسمة

وتقول « فيدس » إن الأسباب التي أدت إلى انتشار الدين الإسلامي هي سهولته ويسره وميزته في ذلك كله على تعاليم الوثنية ومطالبها وشعور معتنقيه بأنه أحد أبناء دين من أعظم أديان العالم واقتناعه بأنه ارتقى من الناحية الاجتماعية عما كان قبل اعتناعه

وتتوقع « فيدس » أن يزداد انتشار الإسلام في أفريقيا بسرعة أشد مما هي عليه في الوقت الحاضر

طلاب الشرق في الجامعات البريطانية

يؤخذ من إحصاء نشره أخيرا المجلس البريطاني في لندن أن عدد الأشخاص الذين يتلقون العلم بالجامعات البريطانية على نفقة المجلس بلغ في السنة الدراسية الحالية ١٦١ طالبا قدموا من ستة وخمسين دولة . وهؤلاء الطلاب من ذوى المؤهلات الجامعية ممن حصلوا على درجات عالية في الدراسات التي تنظمها فروع المجلس المختلفة في خارج بريطانيا . ومن بين هؤلاء طلاب من مصر والأردن وإيران

مبيد للمكروبات جديد

أضيفت حلقة جديدة لسلسلة العقاقير المبيدة للمكروبات باكتشاف البوليميسين (ب) وهو على رأى طائفة من الأطباء الأمريكيين جدير بالقضاء على مجموعة من الأمراض المعدية التي تتحدى منذ طويل جهود علم الطب

والفرق بين البوليميسين(ب) والترامايسين أن الترامايسين فعال الأثر في عدد كبير من الأمراض بينما العقار الجديد قليل الشهية للجراثيم ، ولكنه يختص بمجموعة معينة من الجراثيم خصوصا ما هو معروف منها باسم bacillus pyocyaneus الذي يوجد طبيعيا في أمعاء الإنسان ولكنه لا يستشرى إلا إذا ضعفت مقاومة الشخص أو انعدمت كما أثبت الدكتور إرنست زانتز فائدته في علاج (الزحار) الديسنطاريا الباسيلية الزمنة وبعض أمراض الأطفال

في عالم الكتب: نقد وتعريف

ضرب الكليم

ديوان شعر لشاعر الشرق والاسلام الدكتور محمد إقبال رحمه الله

تعريب الدكتور عبد الوهاب عزام

للأستاذ مسعود الندوى

بين يدى الآن ، ديوان « ضرب الكليم » الذى قام بتعريبه الأديب الألمعى والشاعر المفلق ، صديقنا الأجل الدكتور عبد الوهاب عزام ، أتصفح أوراقه وأسرح النظر فى مرعاه ؛ والذاكرة تستعيد بيت (إقبال) الذى شكا فيه عدم انتشار شعره بين الناطقين بالضاد :

لو أن من به عجم آتش كنى أفروخت
عرب زنغمة شوقم بنوزبى خبراست

(لقد أذكى شعرى الجذوة الخامدة فى بلاد العجم ؛ لكن العرب لا تزال تجهل ما أبثه من تباريح الشوق والوجد) قال ذلك (إقبال) قبل نيف وعشرين سنة ، حينما كانت مصر والأقطار العربية مفتتنة بأدب (تاغور) وشعره ، ولا تكاد تلتفت إلى شعر (إقبال) وحكمته الخالدة المستفيضة من معين الكتاب والسنة ، لما استولى عليها يومئذ من نزعات الوطنية المتطرفة . ولو عاش شاعرنا إلى هذا اليوم ، لشاهد بعينيه أنه قد تبدلت الأرض غير الأرض ، وقد هب القوم يستعيدون مجدهم العربى ويحاولون باسترداد عزهم الإسلامى الخالد ، وذلك بفضل دعوة (الإخوان المسلمون) ورجالها العاملين المخلصين الذين حطموا قيود الفرعونية وفكوا أغلال الإقليمية والعنصرية وقاموا فى الأمة ينادون باسم الإسلام ، يحيون له ويموتون فى سبيله . وهذا ما كان يدعو إليه (محمد إقبال) الشاعر الحكيم بشعره الرصين البليغ المتلئ حكمة وإيمانا . فما أحسن هذه الفرصة وما أوفق هذه الظروف الملائمة لترجمة (شعر إقبال) وعرضه على قراء العربية .

ومن أجل هذا وذاك كان سرورنا عظيما إذ تصدى صديقنا النابغة الدكتور عبد الوهاب عزام لهذا العمل الجليل ؛ ولعمرى هو خير من كان يمكن أن يقوم بهذا الواجب الخطير فى باكستان والبلاد العربية كلها ، إذ لا يتأتى لكاتب أو شاعر باكستانى أن يفرغ شعر إقبال البليغ فى قالب من العربية فصيح تبق عليه مسحة من بلاغة (إقبال) ورونقه : وقد جرب ذلك كاتب هذه السطور غير مرة فلم يكتب له النجاح . وكذلك لا يوجد فى أدباء العرب وشعرائهم — فيما أعرف — من يعرف اللغات التركية والفارسية والإنكليزية حق المعرفة ، وله اطلاع لا بأس به على الأدب الأردى ، مثل الدكتور عبدالوهاب عزام . فإنه أحاط بمؤهلات الموضوع من جميع أطرافها . أقول فى أدباء العرب وشعرائهم ، وذلك بعدما تتبع الأدب العربى الحديث منذ خمس وعشرين سنة .

وجملة القول أن الدكتور عبد الوهاب هو خير من كان يمكن أن يعنى بتعريب شعر إقبال ودواوينه بالفارسية والأردية . ومن حسن حظنا وحسن حظ الأدب والعلم أن انتدب لتمثيل أرض الكنانة فى بلاد (باكستان) فلم تحظ بلادنا فى الست سنين الماضية من استقلالها بسفير أو ممثل سياسى وافق طبيعة الباكستانيين وأذواقهم مثل الدكتور عزام ، غير الأستاذ الأديب السيد عمر بهاء الأميرى وزير سورية المفوض سابقا ، فإنه أيضا استأنس به أهل هذه البلاد كما يستأنس أخ بأخيه ، وذلك لحميته الدينية ونشاطه المحمود فى حقول الأدب والاجتماع

وبعد ، فقد جلست الآن أمام منضدتى لكتابة كلمة أعرف بها ترجمة (ضرب الكليم) العربية إلى القراء وأنوه بالنجاح الباهر الذى أحرزه المعرب فى هذا المجهود الأدبى المشكور ، لكن الحديث ذو شجون والقلم قد اشتطت به الأفكار ، فمعذرة إلى القراء

هـذا الديوان يحتوى على ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط (علاوة على المقدمة وكلمة التعريف) . وفى أولها مقدمة « ومدخل » للمعرب بين فيها مناهجـه فى التعريب وعرف بفلسفة (إقبال) والقطب الذى تدور حوله رحى كلامه ، حتى يسهل للقارئ ، التفطن إلى دقائق تعاليمه وحكمه . وأيضا شكر المعرب فى المقدمة الذين ساعدوه على فهم شعر (إقبال) من أصدقائه فى (كراتشى) عاصمـة باكستان . ثم تلوها كلمة لكاتب من كتاب باكستان ليشرح بها فلسفة (إقبال) وتعاليمه . والكلمة فى الأصل مكتوبة بالأردية ، عنى بتعريبها أو بتعريب « الجزء الأكبر منها » صديقنا الدكتور السيد محمد يوسف الهندى ، نزيل القاهرة — ولكنى لم أجد مسوغا لتحلية جيـد هذه الحسناء بمثل هـذه القلادة الشوهاء — وكان من الميسور أن يجد المعرب فى العاصمة رجالا لهم معرفة دقيقة بفلسفة (إقبال) ويقدرون أن يشرحوها أحسن شرح بالعربية نفسها

وهذا الديوان لباب تعاليم (إقبال) وحكمته ، جادت به قريحته ، وهو فى المرحلة الأخيرة من مراحل حياته ، وقد نضجت أفكاره وبلغت حكمته وفلسفته قمـة العلو والكمال ، إلى أن جعل ينشرها دررا منظومة وغـير منظومة . فقد سمى هذا الشعر المبثوث فى هـذا الديوان « ضرب الكليم » أو إعلان الحرب على العصر الحاضر . ومن أجل ذلك ، يعد هـذا الديوان خير شئ لمن أراد الاطلاع على فكرة (إقبال) ونظريته فى الحياة ومشاكلها ومسائلها المتنوعة المتشعبة

أما هل نجح المعرب فى إبراز محاسن شعر إقبال فى حلة قشيبة من لغة الضاد ، حتى يتأثر بهـا قراء العربية والناطقون بها ، فهذا سؤال يصعب الجواب عليه بسهولة . فإن الترجمة — مهما أوتى المترجم من قوة الأداء وملـكة البيان — قد تذهب فى أكثر الأحيان برواء الأصل وبهائه فى الشعر . والذى يقـدر على أن يبقى على طلاوة الأصل وما له من تأثير بعد الترجمة ، فلا شك أنه ممن بلغ قمة الإعجاز وارتفع فوق المستوى البشرى المعتاد فى الأداء وقوة البيان . هذا فى الشعر . أما النثر ، فله شأن آخر ، وفيه متسع للقول . وإذا نظرنا من هذه الوجهة إلى ديوان « ضرب الكليم » المعرب ، رأينا أن المعرب قد نجح فى مسعاه وأدى إلى قراء العربية معانى شعر (إقبال) السامية بدقة وأمانة ، وبأسلوب عربى نقى ، قلما نظفر بمثله عنـد جهرة الكتاب . وذلك أقصى ما يقدر عليه كاتب وشاعر مهما كان من قدرته البيانية وملكته الأدبية . والمعرب الفاضل يستحق أجل الثناء وأسنى كلمات الشكر من جميع المولعين بإقبال والمفتتنين بشعره

والكتاب مطبوع طبعا أنيقا على ورق جيد ، عنيت بنشره جماعة الأزهر للنشر والتأليف ، إلا أننا ما رأينا وجها لإدخال أداة التعريف على (باكستان) فى (سفير مصر لدى الباكستان) فإنه خطأ شائع ، ينبغى تجنبه . والدكتور عزام قد استعمل الكلمة (باكستان) مجردة عن لام التعريف فى المقدمة مرارا فلعل هـذه الزيادة ممن تولى الطبع والنشر . وعلى كل ، فلجماعة الأزهر للنشر والتأليف ، شكرى وتقديرى وتحياتى

مسعود الندوى

شاعر الشعب

تأليف الدكتور سامى الدهان

للسيدة وداد سكاكينى

تقتدى بعض دور النشر فى مصر والبلاد العربية بما تصنع أمثالهـا فى الغرب فإن ناشرى الكتب يدأبون على إصدار سلاسل شهرية أو أسبوعية تشتمل على كل شائق وطريف يتعلق بالفكر والثقافة ، فلما ظهرت سلسلة «إقرأ» ذكرت من فورى سلسلة « لو » الفرنسية ، وقد استبشرنا الخير فى ظهور سلسلتنا العربية وفرحنا بالحلقات الذهبية

التى ضمّتها إذ شمت نورا وجمالا ، ثم لم نلبث أن رأينا فيها حلقات من معــادن لا يجوز أن تسلك مع الذهب فى نظام واحــد ، فما كان فى الدهر عقد ذهبى يجمع حلقــات من نحاس أو قصدير

فمن هذه الحلقات كتاب « شــاعر الشعب » لمؤلفه الدكتور سامى الدهان ؛ تنــاولته وأنا أحسبه دراسة أدبية مبسطة أو بحثــا ممتعا مقربا ، وإذا به موضوع لا يرقى إلى الموضوعات المدرســية المنظمة ، وقد سماه المؤلف شــاعر الشعب ليستهوى الجمهور ببراعة العنوان دون أن يدل على المقصود ، فمن هو شاعر الشعب ، وأى شعب أراد المؤلف فى ظاهر الكتاب ؟

أما فى باطنه فهو يعنى بالكلام على شاعر النيل حافظ إبراهيم الذى ملأ صيته الشرق ، وليس بحاجة إلى دراسة خفيفة أو بحث مرتجـل ، فرجل الشارع بمصر والبــلاد العربية سمع بحافظ إبراهيم ، فما بالك بالمتعلمين والمثقفين ؟ وإنمــا يعوز حافظ إبراهيم اليوم أن يتصدى لدراسته من يستطيع تحليل شعره وعصره وبحث حياته ووطنيته من شتى نواحيها متعمقا فيها ، مستغرقا أطرافها وخوافيها

ويبدو أن المؤلف الفاضل آثر الراحة ورضى الجمهور والناشر فقد بات أكثر أدبنا بضاعة مزجاة خاضعة لقانون العرض والطلب فى عالم الاقتصاد ، فلم الدكتور الدهان أصول كتابه وفصوله من ديوان حافظ إبراهيم الذى نشرته وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٧ وشارك فى جمع شعره وشرحه وتنسيقه الأساتذة الثقات أحمـد أمين وإبراهيم الأبيارى والمرحوم الزين

وقـد كتب المقدمة الشاملة العالم البحاثة أحمـد أمين فكان من أغرب ما صنع المؤلف أن أهمل ذكر هذا المصدر الفياض الذى استقى منه آمنا مطمئنا غير حاسب أى حساب للطامعين المتتبعين ، وكان يهون الأمر لو أن هذا المصدر كان لمارين مغمورين ، لكنه لمعاصرين مشهورين ، وكانت أمانة العـلم تقتضيه ألا يغفل ذكر كاتب المقدمة الذى كفاه عناء البحث والتنقيب

وفى هذا المؤلف الصغير ناقض الدكتور الدهان نفسه كثيرا ، فمرة يقول فى أمر إيجابا ثم يقول فى هذا الأمر سلبا ونفيا ، فمن أمثال هذا قوله إن حافظا لم يتلق ثقافة عميقة واسعة ولا دراســة منظمة ثم يشيد فى مكان آخر بوعى حافظ ومعرفته متســاقا مع المعجبين بثقافته ، فيقـول (ولا يخطئ الدارس حين يرى فى مجلس الإمام ، مدرسة عالية أو جامعة ثقافية يتخرج فيها الطالب كما يتخرج فى الجامعة ســواء بسواء . ولا حرج إذا وجدنا فى صلة حافظ بهذه الدروس والمجالس صلة الطالب بالجــامعة فقد أخذ بها حافظ وعب من منابعهــا فكان فى دار الإمام يتلقى اللغة والحـكمة ويقرأ الشرح فى المنار) ويتمرس بالشعر والوطنية

ثم يسـرد المؤلف أقوال صحب حافظ من أمثـال البشرى وبركات ومطران والعقــاد وطه حسين حتى يملأ صفحات من كتابه من هذه الأقوال دون تحليل لها أو تعليل لمــا جاء فيها . والأصل فى الاستشهاد بالدراسات الأدبية أن يستنبط منه الباحث الحكم والدليل ، ولكن الدكتور الدهان روى الاقوال ونقلها ليزيد فى عدد الصفحات

ومن التناقض فى الحقائق التى سردها المؤلف قوله إن حافظا أجاد شعره فى شبابه ونظم أحسن قصيدة وهو فى الرابعة والعشرين ؛ ثم ذكر بعـد صفحتين « هــذا بعض شعره وقد جاوز الخامسة والعشرين طبعه بطابع القدماء وليس فيـه إلا تهويل وتزويق ، ولا براعة تشـع منه ولا اختراع »

ومرة يجد المؤلف مجال القول واسعة فى الـكلام على حافظ من ناحية معينة ومرة لا يتجاوز الصفحتين حيث يبتغى التفصيل والتعليل ، وذلك حسب نطاق الاقتبــاس واختصار الأصل ، والظاهر أن المؤلف الفاضل كان فى كلتا الحـالين من حكمه وكلامه خاضعا لسياق نفسى واختيــار

متعطف عابر

وإن أدب قال فلان وروى عن فلان من غير دليـل أو تحليل قد فات أوانه إذ كان من بضاعة المرحلة الفائتة فى أدبنا المعاصر

وكنا ننتظر من الأستاذ الفاضل الدكتور سـامى الدهان أن يتحفنا ببحث شـائق عن حافظ إبراهيم فى سورية ولبنان ، فقصيدته الرائعة التى قال فيها :

حيا ربوع الحيا أرباع لبنان   وطالع اليمن من بالشام حيانى

حافلة بصور المودة والعروبة ومباهج الطبيعة والجمال ، وهى جديرة بالدرس والمقارنة ، وفيها قال حافظ :

وقد وقفت على الستين أسألها   أسوفت أم أعدت حر أكفانى

وقد اتفق أن كانت نهاية الشاعر بعد هـذه الوقفة بشهور . على أن هذه الوقفة الشاعرة الملهمة كان جـديرا بالمؤلف أن يستغلها لو مر بها ، فإنها تصلح لانبثاق مسارح العاطفة من شـاعر خالد اتفق له أن تنبأ بموته وصـدقت نبوءته . لقد سبق المتنبي حافظا إلى مثل هـذه النبوءة المحققة حين فارق فارس فقال قبيل فراقها :

وأنى شئت يا طرقى فكونى   أذاة أو نجاة أو هلاكا

ومن عجب أن يقول المؤلف إن حافظا لم يحس بالطبيعة ولم يحدثها أو تحدثه ، وكأنهـا لم تنقش فى ذهنه إلا كما ينقش الأزميل فى الماء أو القلم فى الصحراء » وقد فاتـه القصائد الوصفية التى نشرت فى ديوانه الأخـــير من ص ٢٠٥ إلى ص ٢٣٩ وفيها مقطوعات وأبيات فى وصف الطبيعة بين السـماء والأرض ، وما زال فى خاطرى من عهد الدراسة قصيدة حـافظ فى وصف الشمس ، وهل الشمس إلا أم الطبيعة ومحور الـكون ؟ وقد وصف شـاعر النيـل الزلازل والبراكين ، وصور البحر وخفوق الرياح أروع تصوير ، ولم يترك جنـان الربيع ولا منازل الجزيرة فى وطنه الجميل

ولا ينبغى أن يغيب عن كفتى ميزاننا الأدبى الحديث أن حافظا وشوقيا والبـارودى وصبرى قبلهمـا لم يعنوا بوحدة الموضوع كما نطالب بها اليوم شـعراءنا ، ولروح الشعر العربى طبيعة تختلف عن طبائع الشعر الغربى إذ أن شعرنا لا يخلو من التنوع واختلاف الصور فيه على الرغم من كل تجديد

وثمة كلمة نابية جاءت ص ٣ ذكرها المؤلف وهو يتحدث عن حافظ وشعره فقال « ظل يهـذى حتى قال الشعر » وما كان حافظ مهذارا فى شعره ولا هاذيا ، وإن النكتة التى شاعت فى أحاديثه الخاصة لم تكن لتذهب من وقاره وقدره . ولعل المؤلف أراد أن يقول : حاول حافظ الشعر أو غرزم فيه حتى تمرس به

وبعد فإن كتاب «شاعر الشعب» مثل من الدراسات الخفيفة العابرة وما كانت منتظرة وهى على هـذه الصورة من مؤلف ولا ناشر ، على أن لمؤلف هـذا الأثر الأخير آثارا قيمة تشهد له بالبراعة والاقتدار

وداد سكاكينى

آراء وأنباء

وا إسلاماه !

هكذا سيصيح القارئ بعد ما يفرغ من قراءة مقالى الأستاذ محمود شاكر : أبصر طريقك وباطل مشرق . فالأستاذ الكريم ينظر إلى العالم الإسلامى الآن بعد الغزوين الأوربيين : العسكرى والفكرى ، فيراه قد انقسم إلى طائفتين . فطائفة نسيت ماضيها وتنكرت له . ورأت فى الرجوع إليه مخالفة لروح العصر ؛ وطائفة أهمها ماضيها وعز عليها أن تتنكر له فانبرت تقدمه للناس فى ثوب جديد . لا تألو فى ذلك صبرا ولا اجهادا

والأستاذ الكبير يخاف على الإسلام أشد الخوف من هذه الطائفة « التى اتخذت كلمة الإسلام لغوا على ذنباتها » ومما زاد الطين بلة والجرح ألما نشاط هؤلاء الناس ؛ وانصراف كل داعية منهم إلى ناحية مدعيا ترميمها وتجديدها على أسس هى « فى جوهرها من الحياة التى أنشأها الغازى الصليبى بيننا . لذلك ، وبسبب هؤلاء فالعالم الإسلامى « مقبل على هزيمة منكرة عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا » هزيمة منكرة ؟ عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا ؟ واغوثاه ! أين هؤلاء المجددون ؟ دلنا عليهم يا أستاذنا ؛ فأنت وحدك أدركت الخطر . وعرفت السر الخطير . دلنا عليهم وإلا فأنت تماتل فى غير عدو . وليس المجال مجالى . وحسبى أن أنبه من هو أقدر منى ليطمئن الأستاذ على الإسلام وأنه لا خوف عليه من هؤلاء المجددين . فالإسلام صالح لكل زمان ومكان

الصافية عبد الفتاح محمد الجزار

هل فى مصر أزمة ثقافية ؟

دأب كبار المفكرين فى مصر على ترديد دعوى لا برهان عليها وهى « أن الأدب فى محنة » « والثقافة المصرية فى أزمة » وأن الشعر قد مات بموت شوقى وحافظ ، إلى آخر هذه الدعاوى المريضة التى تشغل أعمدة من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية — ويعلم الله أنه لا ضعف ولا نكوص ، وأن مصر اليوم غير مصر الأمس ، غيرها فى كل شئ .. فى عدد القراء ، وتنوع الأدب ، والمستوى الثقافى العام .. ويذكرنى هذا بتعقيب الأستاذ « أبو حديد » على ندوة من ندوات الشعر فى جمعية الشبان المسيحية إذ قال : « وفيما شاهدت أكبر برهان أرد به على دعوى الذين يزعمون أن الأدب فى محنة — فالشعر الذى كان جدولا واحدا لا يتغير فى عهد شوقى ، قد تعددت ألوانه ومذاهبه » هذا ما قاله « أبو حديد » لأنه استطاع أن يبرح البرج العاجى الذى يقبع فيه كبار الأدباء فى هذه الأيام وشاهد بعينيه ندوات الشباب التى لم يكن لها نظير فى عهد شوقى وحافظ ...

ويقول الأستاذ « سعيد العريان » إن الكتاب الجيد لم يعد يطبع منه إلا بضعة آلاف نسخة لا تنفد فى أقل من عامين — فهذا كلام حق ويجب أن يكون — فالقراء اليوم — وهم كثير — قد عرفوا معنى التعاون ؛ فالكتاب الواحد يقرؤه العشرات من طلاب المعرفة بواسطة التبادل الثقافى فيما بينهم وأصبحوا يقصدون دور الكتب المختلفة — خاصة وقد أصبح فى كل مدرسة مكتبة ، وفى كل شارع من شوارع القاهرة وفى كل مدينة من مدن القطر مكتبة أو أكثر تتوفر فيها أسباب الراحة لطلاب المعرفة ..

وإذا أردت دليلا على كثرة القراءة وارتفاع المستوى الثقافى فى مصر فاهبط يوما إلى حديقة الأزبكية حيث تجد -

طرائف وقصص

انتحار

للكاتب الفرنسى جورج مورفير

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه يدرك الإنسان المعنى الذى تنطوى عليه كلمات فلوبير : هنالك بقاع فى العالم يود المرء لجمالها وروعتها لو يضمها إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن سان رومانو وا أسفاه تشبه أيضا ثمرة لذة فواحة لا يجسر امرؤ على تذوقها مخافة الموت الذى يقطر من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة الخلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس ؛ ففى جنبات المدينة تقابلك الوجوه الذاهلة والملامح اليائسة والعيون الحيرى الآسفة ... وفى كل مكان منها تطالعك كلمات السخط والتبرم : ألا ليتنى وضعت على رقم ٧ ! ... آه ! هذا الأحمر الملعون ، لقد كسب عشر مرات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على الأسود

ولم يكن فى البلد كله من يلقى أدنى التفاتة إلى المناظر الساحرة الأخاذة التى تنبث فيه . كانت الأرض عندهم « روليت » ضخمة ، والسماء صفحة كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠

وقد كنت أنا أيضا ضحية هذا البلد الخطير ؛ إذ خسرت مبلغا لم يكن جد كبير ، غير أنه كان كل ما أملك . وأفقت من نومى ذات صباح كيلا أجد معى سوى اثنى عشر فرنكا مع أنى مدين لصاحب النزل الذى أقيم فيه

الآلاف من عشاق الثقافات المختلفة يحومون حولها ويحدقون بعيون ظمأى إلى أكداس الكتب البالية المرصوصة على سور الحديقة ، ولا يضنون فى سبيل الحصول عليها بالقروش اليسيرة التى تفضل عن «قوتهم» . أما أن يطبع لهم كتاب جيد ويفتن صاحبه فى انتقاء الورق واختيار الغلاف وتحليته بالصور الجميلة ثم يطلب منهم الثمن الباهظ ، فهذا مالا يستطيعه إلا القليل . وإن أردت التأكد من ذلك فاسأل دور النشر التى تطبع الطبعات الرخيصة فى هذه الأيام كدار الهلال ، ودار كتب للجميع .. وغيرها ، عما تبيعه من هذه الكتب فسوف تسمع ما يسرك وما يجعلك تعود فتقول : حقا إن عدد القراء قد زاد زيادة عظيمة . .

ولقد زاد عدد القراء أضعاف ما كان عليه والمتعلمون لا يزيدون عن المليون . ولقد أصبحت الأفكار والآراء التى كانت وقفا على عدد قليل فيما مضى من كبار المثقفين — فى متناول جميع طبقات الشعب يلفظون بها فى أحاديثهم اليومية ، وقد يتندرون بالسف منها ، وإن الأدب الذى كان يهلل له جمهرة القراء فيما مضى ، لم يعد يرضى أذواقهم كثيرا فى هذه الأيام . وإنهم ليتطلعون إلى الأدب الحى الذى تصوره الأقلام المصرية الأصيلة أصدق التصوير ولم يعد هذا الجيل يهاتر حول بيت من الشعر ، أو أن كلمة « مرجان » قد أخطأ فيها الشاعر عشر أخطاء أو خمسا . وحينما يرتفع المستوى الاقتصادى فى مصر ويستطيع صاحب القصة أو الديوان طبع قصته أو ديوانه ، ويستطيع القارئ شراء نسخته — فسوف يموت أدب وينتعش أدب . وسوف ترتعد فرائص الذين يعيشون خلف الأسوار — حين يدهمهم هذا السيل الذى ترعف به أقلام الشباب

كيلانى حسن سند

بخمسة عشر فرنكا ؛ لذلك اختبرت مسدسي فألفيته يزخر بست رصاصات قواتل كانت في ظني كافية لتمزيق رأس فارغ كرأسي. وفتحت نافذتي. كان « صباحي الأخير » رائعا جميلا فالسماء زرقاء صافية والأمواج خضراء هادئة والنسيم يعبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج

وغادرت المنزل إلى الشاطىء لأملأ صدري المنفعل بهذا النسيم الفواح ... بيد أني كررت عائدا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوعا شديدا ، وفي أثناء عودتي ابتعت صحيفة سان رومانو المحلية ، وهي صحيفة مثيرة ، مجللة بالسواد كأنها رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها إبان الطعام فاسترعى نظري عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بخاطري دون أدنى انفعال : « هنا سيعلن خبر موتي أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر سلفا محرر هذا الباب الذي سيعلن نعي في هذه الصحيفة

وعلقت عيناي بخبر انفرد بعلامة الصليب في صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو جاكوبسن — أمريكي الجنس — معلقة في إحدى النخيل الذي ينمو على الشرفة — وقد وجد في جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك — طبعا »

جوسو جاكوبسن ؟ إني أعرفه . بل لقد خسرنا كل نقودنا جنبا إلى جنب . وبالأمس القريب حينما خسر آخر فلس معه رأيته يتنهد في عنف وحسرة ، ثم أمسك بيدي وهزها بحرارة ونظر إلي بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد دمرت ... دمرت تماما ... وداعا يا صديقي » ... ومن ثم ذهب فشنق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يعثروا في جيبه على ثلاثة آلاف فرنك ... وماذا تعني بحق الشيطان هذه الكلمة « طبعا »

ولاح لي قبس كشف لي الأمر وأبان الطريق .. يالي من غبي ! كيف لم أفطن إلى ذلك من قبل ... لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا المال في جيبه لتضليل الناس وحملهم على الاعتقاد أن انتحاره لا يرجع ألبتة إلى خسارته بل إلى أسباب شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائي رحت أفكر ! كم يا ترى يدسون في جيبي إذا حزمت أمري وانتحرت على مقربة من الكازينو ؟ لقد خسرت بقدر ما خسر جاكوبسن ... وسرت إلى رأسي فكرة بأسرع مما كان مقدرا أن تسرب الرصاصة

ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد يكون ثابتا ؛ وذهبت بعدئذ إلى صاحب الفندق وأكدت له أني سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :

— هذا إذا بقيت حيا ...

— إنا نثق فيك كل الثقة يا سيدي

— إذن فأقرضني مائة فرنك حتى المساء ... إني أنتظر وصول مال من باريس

— بكل سرور يا سيدي

وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت — بروية وإمعان — خطة السير في انتحار يعود على بربح وفير

وفي مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو مرتديا أجمل أثوابي وقد أبنت للملأ أني جئت أجازف بآخر ما بقي لي .. وأني سأموت هما وغما إن لم أربح

وطارت المائة فرنك ... فبدا على الانزعاج في بادئ الأمر ... ثم انقلبت أعلمل غاضبا حنقا ... وأخيرا بدوت كالذاهل المأخوذ

ورآني لحالي شاب قامت بيني وبينه معرفة ، وسألني ما الخبر فأنبأته بنبرات حزينة يائسة أني أفلست ، فأخذ يواسيني ويخفف عني ثم قال :

— لا تيأس فما زلت تملك نفقات السفر إلى وطنك

إن الكازينو — فى هذه الحال — بتطوع ! فقاطعته بيأس قائلا :

— إن السفر الذى أزمعه لا يحتاج إلى « تذكرة »

فنظر إلى مشدوها وقال :

— لا أحسبك جادا فى هذا القول … آمل ألا تكون قد جننت

فظللت صامتا ، ثم أدرت له ظهرى ورحت أجيل بصرى ذاهلا فى أرجاء المكان بضع دقائق … وقد لمحت أصحاب « الكازينو » يراقبوننى من طرف خفى وانفرط عقد اللاعبين فى الساعة الحادية عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علائم الذهول واليأس والتفكير

وكانت الليلة رائعة جميلة والقمر بدرا يلقى بأشعته الفضية الناعمة على الأرض الشجراء والبحر الأزرق الساكن . وبلغ سمعى أصوات كان جنون ينوح نوح عاشقة يائسة وجملت وجهتى — وقد أجمعت أمرى — حرشا قريبا من الكازينو ، بقمة هادئة تعد بحق أصلح مكان لتمثيل الدور الذى أزمعته ؛ وكان ثمة تمثال من الرخام لغانية من غوانى البحر بدا كأنه يبتسم وأنا أوشك أن أقوم بدورى

ودوت فجأة طلقتان ناريتان ، وسقطت على أحد المقاعد فى وضع مهمل وانتظرت . واقتربت منى أصوات وسقطت على عينى المسبلتين ظلال المقبلين

— يا إلهى ! . إنه هو …

— يا للمسكين ! لقد قضى على نفسه برصاصتين مما وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم … أسرع قبل أن يرانا أحد . تبا له من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوق فشعرت كأنما اندس شئ فى جيبى هنالك ارتمدت قليلا … وتأوهت مرتين ، ثم فتحت عينى ببطء شديد ، ونهضت من مضجعى بعناية وحرص ناظرا فى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد حولى . وفى عدم اكتراث أخذت قبعتى والمسدس الذى كان ما زال يلفظ الدخان من فوهته وانتصبت واقفا

وكان المحتشدون ينظرون إلى كأنى حيوان غريب الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالعجب والاستفهام … وقلت فى غضب :

— عجبا لكم يا قوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه بعيدا عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله

واقترب منى أحد أصحاب الكازينو ينتفض من شدة الغضب وقال فى تلعثم واضطراب :

— سيدى الفاضل … أرجو … هل … إذا … ماذا تقصد بهذه المهزلة ؟ سأقودك إلى البوليس لتمكيرك الأمن

— لتعكيرى الأمن ؟ قول ظريف سيغدو ولا مراء حديث الموسم

قلت ذلك ثم أوليت المجمع ظهرى واتخذت سبيلى ضاحكا من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسددت ديونى من الآلاف الثلاثة التى أخذتها مقابل قيامى بدور الانتحار . وقد بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال ؛ ولكنى لم أكن قد فكرت قط فى إعادته ، إذ اعتبرت أن هذا المال من حقى ، وأيقنت فضلا عن ذلك أن ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمنا كبيرا لانتحارى

وقد عمدت إلى إغاظتهم بيقائى فى سان رومانو بضعة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت بعدها إلى باريس … وقد سمعت أن المبلغ الذى دس فى جيبى قد رد إلى الكازينو أضعافا مضاعفة

محمد عبد الفتاح محمد

لغويات

قطط

أنكر أحد الباحثين استعمال الجمع (قطط) مع أنه صحيح لأنه جمع قطة أنثى القط بكسر القاف فيهما . وهذا الجمع قياسى فهو بديهى لا يحتاج إلى نص . وللقطة والقطط نظائر لا تحصى كثرة

وقد جاء فى المعاجم اللغوية : الهرة وجمعها هرر مثل قربة ، وقرب والهرة والقطة متحدتان وزنا ومعنى . وجاء فى المعاجم : القردة أنثى القرد وجمعها قرد بكسر القاف وفتح الراء ، ومن نظائرها : بدعة وبدع وحكمة وحكم وسلعة وسلع

فقولهم : ذكاء القطط ، ومخالب القطط ... صحيح ، ولنا الحق فى أن نقول : قط من القطط (على التلفيق) مثل قولهم خليفة من الخلفاء لأن خليفة جمعه خلائف ، وأما خلفاء فجمع خليف مثل شريف وشرفاء

الدستور فى اللغة

الدستور : لفظ فارسى معرب (دستور) بفتح الدال وبدون ال وهو مركب من (دست) أى يد أو قاعدة ومن (ور) أى صاحب فمعناه صاحب اليد ويراد بها القوة والسلطة أو صاحب القاعدة لاشتماله على القواعد والقوانين الأساسية التى يعمل بمقتضاها وهو كما ترى بفتح الدال فى اللغة الفارسية ولما عرب ضموا الدال ليلتحق بأوزان العرب وقد زعم الحريرى أن فتح الدال خطأ بناء على أنه لا يوجد وزن (فعلول) بفتح الفاء وهذا ليس بصحيح ، وله نظائر كثيرة وردت بضم الأول وفتحه مثل : سندوق وصندوق وعصفور ...

جربوع

جاء فى (المصباح المنير — مادة ربع) اليربوع : دويبة (تصغير دابة أى حيوان) نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة والجمع يرابيع والعامة تقول (جربوع) بالجيم

وقيل إن اليربوع نوع من الفيران . ويظهر أن شكله يلفت النظر . ومنه ندرك السر فى قولهم فلان جربوع وهى جربوعة وهم جرابيع ، وقد اشتقوا منه أفعالا وأوصافا فقالوا : جربوع وجربيع ، إذا صار مثل الجربوع فى شكله وهيئته ، والجرابيع اسم بلد بمديرية المنيا

ثقات لا ثقاة

من الأخطاء الشائعة قولهم (ثقاة) بالتاء المربوطة فى جمع (ثقة) لأنه جمع مؤنث سالم وهو يكتب بالتاء المفتوحة لاغير ونظيرها صفة وصفات وصلة وصلات وعدة وعدات وهبة وهبات ، والثقة فى الأصل مصدر وثق به ومن شأن المصدر أن يوصف به المفرد والمذكر وفروعهما بدون تغيير ، فيقال : هو أو هى أو هما أو هم أو هن ثقة ، وقد يجمع باعتبار إفراده وأنواعه فيقال هم أو هن ... ثقات، ولعل حضرات القراء يراعون هذا ونحن فى عهد التحرر والتطهير

قشطة وقشدة

القشطة لغة عربية صميمة من قشطه يقشطه قشطا مثل كشطه فهى بمعنى القشوطة مثل القطمة بمعنى القطوعة لأنها تقشط ، وأما القشدة فهى من قشده يقشده قشدا بمعنى قشطه وكشطه أيضا . ولا يخفى أن القشطة خفيفة لطيفة ومألوفة فلماذا نلجأ إلى الغريب نؤويه ، وإلى الميت نحييه ، ونشكك الجمهور فى لغته الصحيحة

ومن الغريب أن اللغويين ذكروا لغة أخرى وهى (القشذة) بالذال المعجمة وهى كما ترى أثقل من زميلتها

على حسن هلالى